حين التقينا

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: حين التقينا

اسم المؤلف: أحمد عبد الغني

التدقيق اللغوي: خلود أحمد

تصميم الغلاف: محمد دربالة

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٢٨٧٧ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٣٣٤-٦-٧

مسار للنشر و التوزيع

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

01020439639

massar.pub1@gmail.com

حين التقينا

أحمد عبد الغني

مسار
للنشر و التوزيع
Massar publishing & Distribution

إهداء

إلى هذا القلب النقي الصادق الذي أراه دائمًا أمامي، يأخذني في كنفه ويدفعني للأمام.. زوجتي.

إلى تلك الفتاة الصغيرة التي أرى في عينيها عمري كله، وفي ابتسامتها فرحة الدنيا كلها..

ابنتي.

إلى أمي وأبي فبدونهم ليس لي وجود، فهُم الحياة.

إلى كل من وقف بجواري في كل لحظة..

مقدمة

الحب، تلك الكلمة الجميلة التي تُراق لها الدماء، وتُدمي القلب وتُسيل لعابه.

الحب هو هواء القلب، الحب داء وكذا دواء.

كلنا نبحث عن الحب منذ الوهلة الأولى، نتخيل أنفسنا في كل لحظة أننا وجدناه وكم السعادة التي نعيشها آنذاك ونتصور هذا الحبيب المثالي الخالي من الأخطاء، بالتأكيد سوف نعرفه فور رؤيتنا إياه، ولكن يباغتنا الحب خفيًا، فلا نتعرف عليه سوى بعد فوات الأوان.

وجدت الحب في عالمنا هذا يتلخص دائماً في قصة رومانسية جميلة بين شخصين، ولكن ماذا لو كان حبًّا من طرف واحد؟! وماذا لو ظهر الحب على الطرف الآخر وقتما تلاشى الطرف الآخر، نحن نحب لأننا نحتاج الحب، والحب لا يبحث عن الكمال بل التكامل.

أتمنى أن تنال الرواية إعجابكم ونتعلم المغزى منها جميعًا.

طفل مثالي

أنا لم أكن سوى بضع ثوانٍ في قصة أحدهم أو يُمكن ألَّا يكون لي فيها أي ذكر من الأساس، ولكن تلك هي الدنيا فبعض القصص الجميلة لم يُكتب لها أن تستمر لوقت طويل، ولكن خبأ لها القدر نهاية قريبة بعد بضع سطور من بدايتها بمداد من دموع وقطرات من جرح قلب ليس له شفاء.

كنت طفلًا صغيرًا يعيش في إحدى المناطق العشوائية البسيطة، ولكن كان يُعتقد فيَّ دائمًا الخير؛ فقد تربيت منذ الوهلة الأولى على أن أكون الأول في كل شيء، وهذا الطفل المثالي الذي ليس له مثيل فهذا ما كان يتم إخباري به دائمًا.

كان لي أخ واحد فقط يصغرني بثلاثة أعوام يدعى حسام، وقد كان أبي يعمل موظفًا بسيطًا في هيئة النقل العام، أما أمي فتعمل بالبريد المصري.

سعى أبي وأمي دائمًا أن يوفروا لنا السبل جمعاء حتى نكون الأفضل ويرون نتاج زرعتهم فيَّ أنا وأخي.

كنا نعيش سويًّا في منزل جدي العريق الذي يتكون من ثلاثة طوابق، فقد كنا نسكن الطابق الثالث والأخير ويسكن أسفلنا عمي محمود توأم أبي وأولاده خديجة وعائشة، وفي الطابق الأرضي يسكن جدي عباس وجدتي الحاجة صفيَّة ومعهما عمتي الوحيدة سوسن التي كانت تكبُرني بست سنوات.

كان في البيت دكان يعمل به جدي، فقد كان تاجرًا للسلع التموينية، وكان كلا من عمي وأبي يساعدانه في عمله.

كنت أكبر الأحفاد وأكثرهم حبًّا لدى أهلي، وكان هذا دافعًا لي أن أحافظ دائمًا على تلك الصورة الجميلة التي وضعوني فيها .

أذكر جيدًا عيد مولدي العاشر حينما كان الجميع يحاول أن يضحكني وبالذات عمتي بحكم قرب عمرنا، فقد كنا نلعب سويًّا نتضاحك ونسمر، نسير للمدرسة سويًّا ذهابًا وإيابًا فقد كنت في الابتدائية وفي نفس المدرسة كانت هي في الإعدادية فلم أكن أعتبرها يومًا عمتي لكنها أختي الكبيرة.

مرَّت الأعوام وكبرت، ولكن الطفل بداخلي لم يكبر بعد، مررت من الابتدائية للإعدادية ثم إلى الثانوية وظل الطفل كما هو يبحث عن كمال رؤيته في أعين كل من يتعامل معه.

ظل يرى أن أكبر مكسب هو أن يراه كل من حوله إنسانًا فريدًا بعيدًا عن الخطأ والسهو لأقصى درجة ممكنة، ولم يكن يتصنع هذا بل كان يحمل على عاتقه ضرورة أن يكون تلك الصورة الفريدة المتكاملة في كل شيء مما حافظ عليه في قوقعته، فلم يجرب هذا ويخطئ ليتعلم ووافق قلبه ما أقره عقله فأصبح يخاف دائمًا من كل جديد ويأبى أن يجرب أي جديد، فأصابته العزلة إلى أن بلغ سن الثانوية العامة، هذا البعبع الكبير كما كان يلقبها الكثيرون.

أخذ كل من يلقاه ينصحه أن يبذل كل ما في وسعه في الثانوية فهي غدارة وهي مفترق حياته فمن خلالها يستطيع أن يلامس سابع سماء أو أن يظل في الأرض حالمًا.

تشبَّع الطفل الصغير بداخلي بكل هذا إلا أن تكون بداخله وحش كاسر يدعى الثانوية العامة.

الحب

من أول يوم في تلك السنة أخذتني الهمة والخوف دائمًا من غدر الثانوية فكنت أحضر كل الدروس وأذاكر كل درس بعد أن أعود منه لا يُؤجل، فانشغل وقتي بالمواد الدراسية وساعدني في ذلك أصدقائي فقد كنا ننافس بعضنا في الدراسة منافسة حب.

كنا مجموعة صغيرة لطيفة أبقت على صداقتها منذ الابتدائية حتى الثانوية، مجموعة تتكون من أربعة أصدقاء: عبد الغني، محمد، أحمد وأنا.

كنت أنا وأحمد في الشعبة العلمية تخصص رياضيات وعبد الغني أدبي أما محمد فقد كان في الشعبة العلمية أيضًا، ولكن تخصص علوم.

كنا نجتمع سويا كل صباح لنحضر دروسنا المشتركة سويا ونناصر بعضنا الآخر في المذاكرة.

كان عبد الغني شخصًا يحلم طول وقته بأن يكون ضابطًا بالجيش المصري، كان مولعًا بالجيش المصري ملبسًا وهيئة، يحلم كل يوم أن

يرتدي يومًا ما بدلة الجيش المصري وأن يكون أحد أبنائه.

أراد أن يدخل القسم الأدبي حتى يُتاح له وقت كي يتدرب ويبني جسده حتى يعبر اختبارات دخول الكلية الحربية، فقد كنا نعلم جميعًا مدى صعوبة تلك الاختبارات.

كان محمد هو الطبيب المُقدس بيننا منذ صغره، فقد كتب أبوه يومًا على باب شقتهم الصغيرة اسمه يُسبق بلقب طبيب، ومنذ تلك اللحظة كرَّس نفسه أن يكون طبيبًا، فاتخذ هيئة الأطباء حتى أنه ارتدى نظارة حتى يتشبه بالأطباء، فقد كانت هيئة الطبيب عنده أن يكون وقورًا، ذكيًا، يرتدي دائمًا قميصًا وبنطالًا ونظارة.

سأصدقكم القول أن محمد كان جيدًا في المواد العلمية حقًّا، ولكنه كان يتصنع هيئة الطبيب لا محالة، أما أنا وأحمد فقد كنا وجهين لعملة واحدة نحن الاثنين نعشق الرياضيات ونراها في كل شيء، نعشق أن تُوضع أمامنا مسألة صعبة نتسارع أن نُجد لها حلًّا، كنا نحب أن يُوضع كل شيء في مكانه.

كنا مجموعة لطيفة فعلًا، نحب بعضنا البعض ونشجع بعضنا البعض وأعتقد أن أحد أهم العوامل التي منعت أربعتنا من السوء الذي يلقاه أقراننا في عمرنا هذا هي كوننا واحد، أسرة واحدة

تنغلق على نفسها ضد أي شخص غريب.

كنا نجتمع كل يوم جمعة في بيت واحد منا نسمر ونلهو ونلعب لنُخرج ما بنا من طاقة، حتى أنني أتذكر يومًا كنا مجتمعين في منزل عبد الغني وكنا نلعب حتى عرض محمد سؤال مهم:

محمد: يا شباب أود أن أسألكم سؤال وآخذ رأيكم في مسألة؟

رد عبد الغني بابتسامة صغيرة:

- قل ما لديك ولا تتلعثم كالعادة.

أنا: اصمت يا عبد الغني، قل يا محمد ما تريد ولا تحزن من مزاح عبد الغني.

ترك كل منا ما في يده وأعطينا انتباهنا لمحمد الذي تلجلج لا يعلم ماذا يقول ثم سارع فقال:

- ما رأيكم بالحب؟

وقع السؤال علينا جميعا كالصاعقة فلم ينطق أحد منا، بل تجهم وجهنا جميعًا إلى أن قاطعت أنا هذا التجهم:

- لا أفكر في تلك الأشياء الآن كل ما يهمني هو أن أكون مهندسًا.

رد عبد الغني بسؤال:

- أيعني هذا أنك لم تشعر به يومًا ما؟

رددت عليه بابتسامة استنكار:

- لا ولا مرة.

هنا تحدث محمد وقال:

- من الطبيعي أن نحب ونتمنى أن نُحب، الحب هو شيء جميل ولكن عليك أن تتعلم كيف تحب.

- أ للحب طريقة يا محمد؟

- نعم؛ كل من في هذه الدنيا يُحب، أنت تحب أهلك وأقاربك، وأنت تحب أكلة بعينها، وأنت تحب رياضة وأناس بعينهم، الكل يحب فالعيب ليس في الحب ولكن في كيفيته.

نحن مثلًا في مرحلة المراهقة ويمكن أن نرى فتاة يدق لها قلبنا دقًا ولكن ماذا بعد؟!

عليك أن تعلم أن القلب ما يحدث به هو إعجاب وليد اللحظة وسيتبدد تلقائيًّا شيئا فشيئًا، فلا تلقي بنفسك وبمشاعرك عرض الحائط فتجد نفسك بعد ذلك وعاءً خاويًا ليس به مشاعر.

هنا رددت عليه:

- صدقت يا محمد لا أعلم كيف جئت بكل هذا العقل، ولكن صدقت فالحب عمر لا يُعاش قبل أوانه.

هنا علا صوت الجميع بأن نعود إلى اللعب حتى لا يضيع يوم الإجازة الذي نعود بعده للمذاكرة.

مرَّ العام سريعًا وإذ نحن على أبواب إمتحانات الثانوية العامة وصادف الأمر أنها تزامنت مع شهر رمضان وكان الأمر صعبًا علينا جميعًا، ولكن الله عز وجل سهل أمر الإمتحانات.

كنا نخرج من كل إمتحان نراجع أجوبتنا سويًا، كان منظرًا كوميديًا، فكل واحد منا متمسك بإجاباته أنها صحيحة ويناقش الآخر ليقنعه بأنه على صواب وكأن نموذج الإجابة سيُكتب تبعًا لما سنتفق على صحته.

مرَّت الإمتحانات إلى أن انتهينا من تلك السنة الثقيلة وانتقلنا لثقل أكبر ألا وهو إنتظار النتيجة..

نتيجة

كان يوم ثلاثاء ليس كغيره من الأيام، فقد كنت أنتظر فيه نتيجتي في الثانوية العامة وكان قلبي في أوج حالاته والجميع يستعد لإفطار عائلي لدى المهندس سمير خطيب عمتي سوسن:

أنا: أمي لن أذهب معكم اليوم، لا أستطيع أن أفكر في أي شيء الآن سوى النتيجة ولست في مزاج جيد حتى للخروج .

نظر لي أخي حسام وقال لي:

- لا تكن كئيبًا هكذا أترك الأمر لله ولا تُفسد علينا الخروج.

ردت أمي آنذاك بابتسامة:

- ها هو أخيك الصغير ينصحك ألا تكن سخيفًا وتُفسد الأمر ستحزن عمتك كثيرًا.

رددت عليها بتأفف:

- حسنًا يا أمي! أين هو لبسي إذن؟!

ذهبت معهم على مضض لأُسير اليوم، ولكني اتخذت معزلًا

عنهم حتى حاولت والدة سمير أن تتحدث معي:

والدة سمير:

- ما أخبار نتيجتك؟

فرددت عليها بفتور:

- لم تظهر بعد..

ثم صمت بعد ذلك.

كانت نظرات الجميع تتوجه إليَّ بإصبع الإتهام، فأنا الشخص صعب المراس الذي لم يتبع الإتيكيت في حديثه مع من هي أكبر منه ولم أستطرد في الحديث.

استمر هذا الأمر بضع ساعات حتى جاءني أبي مسرعًا فقد كان يتحدث في التليفون:

- أحمد مبروك لقد ظهرت نتيجتك وحصلت على ٩٣٪.

وقع الأمر عليَّ كالصاعقة فقد كنت أتوقع درجة أعلى وفقدت السيطرة على دموعي فسالت من عيني حتى أصبحت لا أرى ما حولي.

حضر حسام وأمي وأبي يباركون لي أمام الجميع وأنا على علم

تام أنهم كانوا ينتظرون مني المزيد، ولكن لم ينطق أحدهم ببنت شفه.

مرَّ الليل عليَّ عصيبًا صعبًا وبدأ قلبي في تصور السيء فالأسوأ بداية بضياع مستقبلي كمهندس مرورًا بزهدي في تلك الحياة وفقداني الشغف على عيشها.

ضاق ذرعي بالبكاء فلم يشف ما بداخلي بعد، وهداني تفكيري أن أصلي ركعتين أدعو الله فيهما أن يكتب لي الخير وأشكو إليه ما أمر به وهو به أعلم، ولكن أتعلم شعور بكاء قلبك وثبات عينيك التي تأبى أن تُخرج تلك الدمعات وقتها تشعر بمدى إحتياجك لإخراج ما بداخلك ككلمات تُزيح سيطرة عينك فتتساقط الدموع.

فقمت أناجي الله وأقول:

"يا رب أنت القادر على كل شيء، يا رب أنت أعلم بحالي وبضيقي وبمدى تعبي في هذا العام وكم كنت أتمنى دخول كلية الهندسة، ولكنك لم تكتب لي هذا وأعلم أن هذا هو الخير لي فلا يأتي منك إلا الخير يا ربي.

اللهم اكتب لي الخير أينما كان فلا أقوى على الإختيار، فاللَّهُمَّ اختر لي ولا تخيّرني."

مرَّت الأيام وجاء وقت كتابتي للرغبات، أيهم أختار فقد ضاع مني خياري الأول والأوحد فلم أكن أفكر في أي شيء سوى أن أدخل كلية الهندسة، فكيف بعد كل هذا أفكر في خيار آخر.

وقفت مصدومًا أمام الإختيارات لا أُظهر أي ميل لإحداها إلى أن أقترح عليَّ أبي شيئًا:

– ما رأيك بكلية التربية فأنت تعشق اللغة العربية منذ صغرك؟

أنا: تربية لغة عربية! لا أعلم يا أبي سأصلي صلاة إستخارة قبل أي شيء.

أبي: لا مشكلة يا بني كتب الله لك الخير دائماً.

قمت فتوضأت وصليت ركعتين لله دعوت فيهما بدعاء الإستخارة ثم قمت لأجلس في الشرفة قليلًا، فقد كنت أعشق الجلوس في الشرفة ليلًا وأخذت أنظر إلى السماء وما بها من نجوم وقد كان القمر ساطعًا في السماء كالشمس يُنير الليل ويُعطي هدوءًا غير مسبوق في النفس، وهنا نطق الطفل بداخلي كيف لهذا الليل بكل ما به من سواد أن يُعطي للنفس إحساسًا بالسعادة والحب!

كيف واللون الأسود دائماً ما يرتبط لدينا بالبؤس والكراهية؟

جمال الليل في هدوءه وسكونه، حتى لو وُصم بالسواد فبيده أن

يجعل هذا السواد منبع جمال.

سأنظر للجزء الجميل في كل ما حدث وهو أني سأكون مع اللغة العربية أعيش فيها ولها .

وفي صباح اليوم التالي أخبرت أبي بأني قررت أن أدخل كلية التربية قسم اللغة العربية كما أقترح عليَّ، فبارك لي أبي وأمي إختياري ودعوا لي أن يوفقني الله عز وجل.

نظرة في هيام

قضيت فترة الثانوية العامة في عزلة تامة عن الدنيا وكل ما يجول في خاطري أن أبذل كل ما في وسعي لكي أحقق حلمي، ولكني فقدته فتوقعت أني فقدت شغفي بالمذاكرة والإلتزام معه، ولكن لم يحدث هذا فمنذ دخولي الكلية من أول يوم وأنا أسعى للإلتزام كمن أدمن الشيء فلا يقوى على فراقه.

حين دخلت المدرج للمرة الأولى وجدت مجتمعًا لم أعتد عليه، وجوهًا جديدة وأناسًا مختلفة.

هنا شعرت أن هذا الطفل الصغير قد خرج من بُحيرته إلى بحر أعمق بكثير، بحر واسع يحمل بين طياته أجناس مختلفة.

خرج هذا الطفل ثم وقف في مفترق الطرق فتيار البحر يختلف عن البحيرة فلا تستطيع أن تستمر معه طول طريق لا تعرف عواقبه ولا تستطيع أن تجعله مَسبَحَك الأول، فأنت أجبن من أن تتعلم السباحة ضد التيار فليس عليك سوى الإنتظار حتى يتضح معالم هذا التيار.

دخلت راهبًا هذا المكان الغريب عليَّ، أحول ناظري يمينًا ويسارًا أبحث عن مكان فارغ منعزل أجلس فيه بعيدًا عن الناس، فما زلت أحاول أن أفهم ما يحدث حولي.

دخلت أول دكتورة تشرح لنا، وبعد شكر في الكلية وترحيب بنا لم يدم طويلًا أمسكت بالقلم ووجهها تجاه السبورة وأخذت تكتب الكثير من الكلمات الإنجليزية المتعاقبة ثم أمسكت بمُكبر الصوت أو ما يُسمى بـ "المايك" وأخذت تتحدث بالإنجليزية كلمة وراء الأخرى وأنا أنتظر أن تترجم ما تقول فلا أفهم سوى بضع كلمات فقط، ولكن لم تنزل الترجمة أبدًا.

نظرت حولي أقلب نظري في أرجاء المدرج فوجدت تجهما يسيطر على الكل فقاومت ضحكة بداخلي يتبعها تمتمة صغيرة:

- لست أنا فقط من لا يفهم! يا لها من بداية!

ورغم أحجية الدكتورة ولغتها التي هي أقرب ما يكون للكورية تقريبًا أبى كل شخص منا أن يقاطع كلماتها لفهم ما تقول أو حتى الإستفسار، وما هي إلا لحظات حتى دخلت دكتورة أخرى تمسك بيدها حقيبة صغيرة وتسأل:

-السلام عليكم.. أليس هذا (مدرج ج)؟

ردت عليها الدكتورة كورية اللسان التي تشرح:

- وعليكم السلام، نعم إنه هو.

هنا زادت علامات الإستغراب على وجه الدكتورة عند باب المدرج وقالت:

- لديَّ محاضرة هنا.. أليس هؤلاء الدفعة الأولى لقسم اللغة العربية.

هنا ردت الدكتورة التي كانت تشرح بالإنجليزية بكل ثقة:

- لا.. هؤلاء قسم اللغة الإنجليزية.

لم يتمالك أي منَّا نفسه وعمَّ الضحك المكان وأجاب كل من يجلس في نفس واحد:

- لا.. نحن قسم اللغة العربية.

ظهرت علامات الإحراج على الدكتورة التي ظلت تشرح تقريبًا ساعة كاملة وقالت بإحراج:

- إذن لِمَ لم تقولوا لي؟

قلنا لها أنه انتابنا الحرج من أن نوقفها لنسأل ما تلك المادة أو أننا لا نفهم، فهذا أول يوم وهناك إحتمال أن تكون مادة جديدة.

بعد ضحك كثير ولغط أكثر صعدت الدكتورة الجديدة لإلقاء محاضرتها التي كانت قد ضاع منها بالفعل أكثر من نصفها فقالت:

- بالتأكيد لقد ضاعت أول محاضرة، ولكن لا يهم فلنتعرف على بعضنا الآخر.

- أهلًا وسهلًا بكم.. أنا دكتورة خديجة معيدة بقسم اللغة العربية.

يجب أن يعرف كل منا الآخر فكلنا في القسم ثلاثون طالب وطالبة.

بدأ الجميع بتعريف أنفسهم وكنت آخر الجالسين في المدرج وعندما حان دوري في الوقوف وتعريف نفسي قاطعت حديثي فتاة تدخل من باب المدرج في لهفة تقول:

- آسفة يا دكتور فإنه أول يوم لي ولم أعرف مكان المدرج بعد.

ردت الدكتورة خديجة بإبتسامة خفيفة:

- لا مشكلة.. تفضلي.

دخلت الفتاة تدريجيًا في سكون تخاف حتى أن يُصدر نعلها أي أزيز يزعج من حولها أو يلفت إليها مزيدًا من الأنظار.

كانت فتاة جميلة جدًّا يظهر على ملبسها الوقار ويشع قلبها لونًا أبيضًا يمتزج بفستانها ذي اللون الأزرق الهادئ كأن فستانها صُنع خصيصًا لها فلا يصح أو يكن لغيرها.

فتاة لم أرَ في جمالها يومًا أو بمعنى أوضح رآها قلبي وأبصر على يديها كطفل صغير تتفتح عينيه على الدنيا لأول مرة.

دق قلبي فور رؤيتها، دق لها ليس لغيرها وتسارعت ضرباته حتى ظننت أنه سينخلع من موضعه.

هنا توقف الزمان، ولت الشمس وأقبل الليل ناشرًا ظلمته على الجميع ولم يتبقَّ سواها شمسًا تنير لي الطريق.

قاطعني زميل لي يجلس بجواري عندما هزني بيده أن انتبه فأنت من كنت تتحدث، هنا أكملت حديثي بتعريفي بنفسي ثم جلست، ولكن جسدًا فقط دون قلبًا، فقلبي ظل يحوم حولها دون سكون أو رجوع يستنشق عطر جمالها بصمت.

أشارت الدكتورة إلى الفتاة أن تقف لتعرف نفسها فقالت:

- أُدعى سماء.

ثم جلست..

أنهت الدكتورة تلك المحاضرة على أنها محاضرة تعريفية فقط لنتعرف على بعضنا البعض ثم انصرفت.

ظللت جالسًا في مكاني لم أتحرك ولا أعرف ماذا يفترض أن أفعل الآن، لا أعلم إن كان لدي محاضرة بعد ذلك أم من المفترض أن أذهب وكان يجلس بجواري صديقين لي كنت قد تعرفت عليهما في وقت سابق من اليوم فور دخولي للجامعة فقلت لهما:

- ماذا سنفعل الآن يا رفاق؟

فقالوا في آنٍ واحد:

- سنذهب لنستكشف الكلية.

فرددت عليهم بإستغراب:

- أليس لدينا محاضرات أخرى؟!

فردوا دون إهتمام وهم يسيرون:

- لا نعلم.

انسلخ الجميع من المدرج الواحد تلو الآخر ولم يتبقَّ غيري وتلك الفتاة سماء، يجلس كل منا في مكان بعيد عن الآخر وقتها شعرت أن هذا المدرج أجمل مكان في تلك الدنيا، فقد زاد جماله في

عيني وشعرت بالسكينة لمجرد جلوسي في مكان واحد بجوارها .

مرَّ الوقت ولا أعلم ماذا أفعل فاتصلت بأبي:

– أبي لقد أخذنا المحاضرة الأولى ولا أعلم ماذا أفعل بعد ذلك هل أذهب أم أنتظر؟

رد عليَّ قائلًا:

– أنت أدرى افعل ما تراه مناسبًا كأصدقائك.

لم يعطني أبي حلًّا مناسبًا، ولكني وجدت سماء تأتي نحوي تسألني:

– لو سمحت.. أتعلم ما هي المحاضرة القادمة فلا أجد أحدًا من زملائنا هنا؟

وقفت صامتًا لا أتصور أنها أتت تحدثني، ولكني لململت شتات أمري سريعًا وجاوبتها:

– لا أعلم.. فلم يضعوا جدول المحاضرات بعد، ولكنه سيوضع في خلال هذا الأسبوع.

ردت بابتسامة جميلة تشكرني وتقول:

– إذن لا يوجد لدينا أي محاضرات بعد ذلك، فلنذهب من هنا.

نزلنا في فناء الجامعة الواسع فوقفت هي مع بعض من زميلاتها ووقفت أنا بعيدًا عنها ولكن قلبي، عقلي ونظري لم يفارقوها أبدًا، ظللت أنظر إليها خلسة كل دقيقة تقريبًا وعندما يتلاقى نظرنا صدفة ينتابني الحرج، فأدير نظري بعيدًا عنها عنوة كأني فُطرت على النظر إليها وفُتنت بها.

وبينما أنا على حالي أقبل عليَّ واحد ممن كانوا معي في المحاضرة الأولى:

- السلام عليكم.. أهلًا وسهلًا بك أنا إبراهيم ما اسمك؟

رددت عليه السلام وتعرفنا سويًا.

كان يظهر على لكنته أنه من الصعيد حتى قبل أن يخبرني أنه من قنا.

شخص قمحي اللون مثلنا ذو بنية ليست بالقوية، ولكنه خفيف الظل يحب أن يُلقي النكات دائمًا دون توقف، شخص يستأنس بالناس سريعًا فرغم أنها كانت أول مرة أراه فيها أخذ يتكلم كثيرًا عن نشأته في قنا وأنه كان من أوائل محافظته، أخبرني أيضا أن أبيه هو عمدة بلدتهم هناك وأنه ابنه الوحيد.

ظل إبراهيم يحدثني عن حياته وبلده وأنا أبتسم المرة تلو

الأخرى، ولكن عقلي لم يكن معه بتاتًا كان مع قلبي لديها.

انتهى اليوم وعُدت من الجامعة للمنزل شخصًا آخر غير الذي خرج قبيل الفجر فعدت ببال شارد لا أركز مع أي أحد ممن يحدثني حتى أمي وأبي كانوا يسألونني عن أول يوم لي في الجامعة فأرد عليهم بأنه جيد دون تفصيل.

دخلت غرفتي وجدت صور سماء في كل مكان، وجدت صوت إبتسامتها الندي على الرغم من عدم إستماعي له آنفًا إلا أنني وجدت صداه يتردد في أرجاء الغرفة فاستلقيت على سريري وأخذ عقلي يشرد حتى غلبني النوم.

استيقظت في اليوم التالي مسرعًا ارتديت ملابسي وأسرعت للكلية تمنيت أن أرى محياها أول شيء فور دخولي الجامعة.

ظللت أبحث عنها يمينًا ويسارًا أجوب كل أنحاء الكلية، ولكن لم أرها وقتها شعرت بضيق صدر كبير فأمسكت هاتفي أبحث عن ميعاد المحاضرة القادمة وأنا في طريقي للمدرج وإذ فجأة وجدت نبضات قلبي تتسارع شيئًا فشيئًا، وسمعت صوت موسيقى تأتي من بعيد فإذا بها تأتي مقبلة كالشمس التي تأتي مسرعة لتُذهب وحشة الظلام، كالقمر الساطع في سماء مظلمة لا ينير سواه.

كان مجيئها ومذهبها كالشمس وأنا زرعها، فمجيئها يُطل عليَّ بنورها فتُحيي مُحياي، أبتسم، أنطق وأرقص ومذهبها كغروب الشمس حين ينحسر نورها شيئًا فشيئًا عن تلك الزرعة فتغفل وتنام في إنتظار قدوم آخر للشمس، مرَّت من جانبي كرياح الشمال الهادئة الجميلة بلين وحياء وأسرعت تجاه المدرج.

اعتراف

بمرور اليوم تلو الآخر ازداد تعلقي بها في كل مرة أراها، أصبحت أراقبها من بعيد في كل همساتها، ضحكاتها، دهشتها أسلوب تحدثها مع من حولها حتى حفظت عنها كل شيء.

علمت كل ما تحبه وحاولت تقليدها!

نعم حاولت تقليدها كطفل صغير يُقلد أمه في كل شيء، حاولت أن أُقلد ردود أفعالها، أحببت أشياء كثيرة لمجرد معرفتي بحبها لتلك الأشياء وكأن كل حبيب لحبيبي حبيب لي.

كان يكفي من يومي رؤيتها فقط، رؤيتها تضحك وتتحدث مع زميلاتها وتضحك وقتها كنت أشعر أن العالم كله يبتسم لي وأظل طوال طريقي للمنزل أسمع أغنية عبد الحليم حافظ "أحبك"..

كنت أنتظر وقت توزيعنا لمجموعات على مشاريع أعمال السنة لعل حظي الجيد يُوقعها معي في مجموعة واحدة، ولكن هذا لم يحدث ولو لمرة واحدة، حتى المرة الوحيدة التي ضحك فيها الحظ لي ووقعت معي في نفس المجموعة سرعان ما تغير الأمر ولُغي

المشروع.

أتعلمون..

كنت أعتاد دائمًا وقت النوم أن أستلقى على سريري متخيلًا حديث بيني وبينها أتحدث فيه عن حبي لها ثم أعود زاجرًا نفسي أنه طالما فكرت في هذا فلن يحدث، فكثيرًا ما تكرر معي الأمر أن أتخيل أمرًا يأتي في مخيلتي الواسعة، تلك فأتصور له سيناريو متكامل ثم ماذا!

لا يحدث!

مرَّت السنة الأولى سريعًا وانتهينا من الامتحانات وأصبحنا ننتظر النتيجة، وذات يوم تحدث إلى صديقي إبراهيم عبر الهاتف متلهفًا:

- مبارك يا صديقي، إمتياز مع مرتبة الشرف.

رددت عليه مستبشرًا:

- صدقًا يا إبراهيم؟!

رد مشاكسًا إياي:

- ومنذ متى أكذب عليك يا فتى؟

أنهيت المحادثة مع إبراهيم سريعًا وأسرعت إلى التليفون المحمول أدخل على صفحة الدفعة على موقع التواصل الإجتماعي ومنه على صفحة النتيجة، فظهر لي رقم الجلوس وفورًا بدون تردد وجدت نفسي أكتب رقم جلوسها أولًا، وإذ فجأة تخرج مني صيحات متتالية فرحة وأقفز في مكاني مهللًا.

أقبل أبي وأمي مسرعين على صيحاتي يتساءلون:

- ما الخبر؟ أظهرت نتيجتك؟

انتابني الخجل ولم أعرف بماذا أجيبهم، فسارعت بإخفاء التليفون خلف ظهري وقلت لهم بصوت متهدج من الإحراج:

- لقد نجحت بتقدير عام إمتياز يا أبي.

سجد أبي وقتها شكرًا لله عز وجل وهللت أمي بزعاريد كثيرة استقطبت البيت كله الذي أصبح بين لحظة وأخرى في منزلنا.

بارك الجميع لي، ولكنني تركت كل هذا ودخلت غرفتي وأخذت أحدق في نتيجتها كأنني أتحدث إليها:

- مُبارك يا سماء، يا سمائي العالية الغالية.. كم فرحت لك يا غاليتي أكثر حتى من فرحتي لنفسي، فأنتِ نفسي وأنفاسي ومُتنفسي كم أحبك يا غاليتي.

نمت هذا اليوم وأنا أحتضن التليفون مفتوحًا على صورتها في صفحتها الشخصية، فقد ظللت أكثر من ثلاث ساعات أحدق في صورتها أحدثها.

أصبحنا الآن في إجازة آخر العام، الإجازة التي ينتظرها الجميع للخروج ومقابلة الأصدقاء، ولكن أين هو أنا؟!

فلم أكن هذا الشخص الذي دخل الجامعة منذ عام واحد، أصبحت لا أريد الخروج من المنزل ولا أن أقابل أي شخص، استغنيت عن الجميع بقلم وورقة أكتب عليها كثيرًا، حتى أن كل موعد يتفق عليه أصدقاء مدرستي القُدامى أعتذر عنه وأتحجج بأي حجة.

كنت أدخل كثيرًا على صفحتها على الإنترنت أحاول أن أعلم أخبارها، ولكن نادرًا ما كنت أجدها تنشر أي شيء على صفحتها.

ظللت طوال فترة الإجازة أتحدث لصورتها لا يمريوم واحد دون أن أحكي تفاصيله لصورتها.

أصبحت أعد الأيام باللحظات حتى أعود للدراسة لأراها، فرغم صعوبة حبي لها وأنني لم أتحدث معها أبدًا طوال فترة الدراسة، ولكن على الأقل كنت أراها أمامي، مرَّت فترة الإجازة

دهرًا عليَّ وعدت لأول يوم في السنة الثانية لي في الجامعة.

دخلت الجامعة ملهوفًا يغلبني الشوق حتى كاد يقتلني عندما حاولت أن أعبر الطريق دون النظر يمينًا ويسارًا فكادت أن تصدمني سيارة، ولكني لم ألق لها بالًا وأسرعت لداخل الكلية أبحث عن سماء كالمجنون.

ظللت أبحث في الجامعة أنظر هنا وهناك أتفحص الوجوه كي أراها ولو لحظة واحدة، فقد أدمنت رؤيتها ولا أقوى أن تغيب عن ناظري كل تلك المدة، وإذ فجأة سمعت صوت موسيقي بداخل قلبي وأصبح كأنه يرقص عليها دقًا ونبضًا حتى رأيتها أمامي أجمل من أي مرة رأيتها فيها آنفًا فكل مرة أراها أجمل من المرة التي تسبقها.

رأيتها مقبلة بفستان بني أنيق جدًّا كأنها غيرت أوقات تلك الدنيا فأصبح القمر يأتي نهارًا ويترك مقعده في السماء ليسقط أمامي.

ظللت أنظر إليها لأُشبع عيني منها، ولكن دون جدوى كالعطشان الذي تتذوق شفتاه قطرة ماء فتُزيده عطشًا، فقد كنت كلما أراها أشتاق أكثر لرؤيتها.

مرَّت السنة الثانية في الجامعة مرة أخرى سريعًا وظل حب سماء

ينمو في قلبي شيئًا فشيئًا حتى سيطر على قلبي كله ولكن دون حرف يُنطق من فمي.

لم أكن أمتلك الشجاعة والجرأة أن أذهب إليها لأفتح معها سياق كلام، فقط كنت منعزلًا عن كل من هم حولي حتى دفعتي لم أكن مع أحد سوى إبراهيم طيلة الوقت.

أصبحنا في آخر يوم في إمتحانات السنة الثانية وبعد إنتهاء الامتحان كنت أقف أراجع الامتحان كالعادة مع إبراهيم صديقي، كل منا يحاول أن يُقنع الآخر بإجابته وأنها أصح من الإجابة الأخرى، ثم رأيتها تخرج من لجنة إمتحانها مع صديقتها ندى فقد كانت أقرب صديقاتها إليها لا يفترقون أبدًا.

ظللت أنظر إليها عندما مرَّت من أمامي ولم ألقَ بالًا لكلام إبراهيم صديقي حتى لاحظ الأمر فضربني بيده قائلًا:

- متى ستتحدث أيها الصخرة؟! أستترك واحدًا غيرك يخطفها منك!

فقط تحرك وتحدث إليها لتكن في الصورة حتى لا تندثر وتبقي تنظر من بعيد.

رددت عليه قائلًا:

- لا أعلم ماذا أقول يا إبراهيم، أخاف أن أخسر حتى حق النظر إليها إن غضبت مني!

شهق إبراهيم وزفر سريعًا ثم قال:

- يا بني لا تخف فقط أخرج ما بداخلك.

هنا استجمعت قواي وعزمت أن أتحدث معها فأسرعت بالنزول وتركت إبراهيم بدون كلمة واحدة فقط جريت خلفها.

ظللت أسير خلفها ساعة تدور هي وصديقتها ندى في الجامعة وأنا أتبعهما من بعيد لأجد الفرصة المناسبة التي تبتعد فيها ندى وأستطيع أن أتحدث إلى سماء.

وها هي ذا الفرصة قد أتت، فقد ذهبت ندى ملبية طلب صديقة أخرى لها تريد أن تتحدث إليها منفردة وأصبحت سماء وحدها أستطيع أن أتحدث معها الآن، فذهبت إليها والأرض لا تتحمل ثقل أقدامي، ولكن استجمعت قواي وقلت لها:

- السلام عليكم.. كيف حالك يا سماء؟ أتتذكرينني؟

ردت علي باستغراب:

- وعليكم السلام.. أكيد فنحن زميلان في نفس القسم.

فقلت لها بصوت متقطع:

- أيمكنني أن أتحدث إليك قليلًا يا سماء؟

فردت بإبتسامة شجعتني أكثر وهي تقول:

- أكيد.

هنا إزداد عرقي شيئًا فشيئًا حتى غطى عيني، فأدخلت يدي في جيبي أخرج منديلًا لي، ولكن إذ بسماء تعطيني واحدًا كأنها تعرف ما أريده دون أن أتحدث.

- بصراحة يا سماء أنا لا أعرف أن أجمل الكلام، أنا أحبكِ يا سماء منذ أول يوم رأيتك فيه وأريد أن أرتبط بكِ!

هنا صمتت سماء ولم تنطق حرفًا واحدًا وكانت ندى قد انتهت من حديثها مع صديقتها فأتت وأخذت سماء وذهبت دون أن تقول لي كلمة واحدة..

سماء

أنا سماء ابنة جراح القلب المشهور أحمد عبد الكريم، فتاة رُزقت من الجمال ما يقول لي عنه البعض أنه كثير، فالجميع يُخبرني أنني أخذت جمال أمي فقد كانت أمي طبيبة إسبانية تدعى كارمن، تعرَّف عليها أبي في إحدى المؤتمرات الطبية العالمية ونشأت بينهم قصة حب كبيرة كُللت بإسلام أمي وزواجها من أبي وكنت أنا فقط نتاج هذا الزواج، فقد أصيبت أمي بعد ولادتي بحمى النفاس وماتت إثر ذلك، بعد موت أمي ربتني عمتي زهرة أخت أبي التوأم.

إن أجمل شيء حدث لي هو وجود عمتي زهرة في حياتي، ويؤسفني القول إنني كنت أكثر حظًا بها من أولادها، فقد كان لديها ثلاثة أولاد قضوا نَحبهم وأبوهم في حادثة سيارة ولم ينج من تلك الحادثة سوى عمتي زهرة ولله الحمد لتعكف بعد ذلك على تربيتي في ظل إنشغال أبي بعملياته ومؤتمراته، كبرت واشتد عودي في كنف عمتي التي كانت لي بمثابة الأم والعمة والصديقة وكل شيء.

دخلت كلية التربية قسم اللغة العربية وكنت لا أهواها فقد وضعني فيها مجموعي إجبارًا دون إختيار مني، ولكني كنت كأبي أرفض دائمًا إلا أن أكون في مقدمة أي شيء أفعله لذا اجتهدت في الجامعة وكنت دائمًا من الأوائل.

كانت الحياة تسير في مدارها الطبيعي لا يهمني فيها سوى ما أرتديه من ملابس جديدة كل يوم وما أتقلده من سلاسل وذهب، ولكن هذا لا يمنع حبي للإحتشام وإنتقائي لملابسي بما لا يتعارض مع ديني، فهذا ما ربتني عليه زهرة، كنت أحب دائمًا الخروج مع صديقاتي وخصوصًا ندى أقرب صديقاتي لي، منذ دخولي للجامعة وكانت حياتنا عبارة عن خروج ومذاكرة وكنت أعشق تلك الحياة حتى هذا اليوم الذي غير لي كل حياتي.

كان أول يوم في السنة الثالثة من الجامعة وكعادتي كنت في كامل أناقتي أقف مع ندى نتحدث ونضحك في ساحة الجامعة وليس في عقلي أي شيء إلى أن أتى أحد زملائي يُدعى إبراهيم يُخبرني أن والدة صديق لنا تريد لقائي، وقتها تذكرت أن هذا هو نفس الشخص الذي تحدث معي منذ ثلاثة أشهر وقت إنتهاء السنة الثانية وتهربت منه لذا أسرعت وأخبرت إبراهيم أنني وللأسف لن أستطيع مقابلتها فلدي موعد هام فقد كنت على يقين أنها هنا

لتتحدث معي في نفس الموضوع الذي تحدث معي فيه ابنها وأخاف أن أجرحها بإجابتي.

دخلت المحاضرة الأولى وأخذت عيني تلقائيا تبحث عنه في كل مكان خشية أن يراني مرة أخرى ودخل أول دكتور لشرح المحاضرة:

- السلام عليكم أبنائي الطلاب.

مرحبا بعودتكم سريعًا في سنة جديدة أتمنى أنها تحمل معها لكم جميعا التفوق والتقدم، ولكن قبل أن نبدأ أول محاضرة أستاذنكم بالوقوف قليلًا.

فقمنا جميعًا نقف وأنا لا أعلم ماذا حدث، ولكن الدكتور لم يترك لهوانا المجال حتى يضع الإحتمالات واسترد كلامه قائلًا:

فلندعو لصديقنا وذكر اسمه فقد أخذه الموت من بيننا في الإجازة الصيفية ولعله اليوم في مكان أفضل من هنا فلنعزي أنفسنا أولًا وأهله ثانيًا.

وقعت تلك الكلمات في أذني كالرعد، فأفقدتني أي إتصال بالدنيا من حولي حتى أنه جلس الجميع إياي، فقد ظللت واقفة تتساقط الدموع من عيني تلقائيًا إلى أن سحبتني ندى من يدي

وأجلستني وأنا ما زلت لا أصدق.

مضت المحاضرة عليَّ كأنها لم تكن وكنت أول الخارجين من باب المدرج أبحث عن إبراهيم الذي حدثني صباحًا فلم يحضر معنا المحاضرة، فوجدته جالسًا بجوار إمرأة ترتدي الأسود خارج المدرج وفور أن رأتني أسرعت إليَّ قائلة:

- أتسمحين لي يا ابنتي فلن آخذ من وقتك سوى لحظات من فضلك؟

فمسحت عيني من الدموع وحاولت الإبتسام قائلة:

- أكيد يا أمي.

ذكرتني أنها أمه وذكرت اسمه فقولت لها:

- البقاء لله ربنا يصبرك يا أمي، كيف أخدمك؟

فقالت لي:

- قبل أن يموت ولدي أوصاني بأن أحضر لك هذا الكتاب.

فأجبت مستنكرة الأمر:

- لي أنا، ولكن لماذا أنا؟

فأجابت وهي تبكي:

- لا أعلم يا ابنتي فهي أمانة أُوصلها كما هي، ولكن أخبرني برسالة لك مع الكتاب.

فقلت لها مستغربة ومتعجلة لمعرفة الرسالة:

- وما فحواها يا أمي؟

فقالت وعيناها تدمع كسيل جارف ستجدينها بداخل الكتاب ثم تركتني وذهبت مسرعة بخطوات متعثرة.

أمسكت الكتاب وأنا لا أصدق أن هذا يحدث لي حقيقة، فكيف لهذا الشخص الذي لم أتحدث معه سوى مرة أن يترك لي كتابًا كهذا فمالي وإياه!

كاد الفضول أن يقتلني لمعرفة ما بداخل الكتاب وموضوع تلك الرسالة المزعومة من والدته، ولكني قاومت فضولي هذا حتى أصل للمنزل لأنظر للأمر بروية.

تركت المحاضرات المُقررة يومها بحجة تعبي وأسرعت أطوي الأرض طيًا كي أصل سريعًا للمنزل حتى أنني لم أنتظر عمتي لتمر عليَّ كعادتها في أول يومٍ في العام الدراسي، وما إن وصلت للمنزل حتى أسرعت لغرفتي أغلقها علي وجلست في أرض الغرفة أستند لبابها وظللت أسأل نفسي:

ما هذا يا سماء؟ ماذا يحدث؟ وكيف يحدث؟

لَمَ ترك لي شخص لم أعهده يحدثني هذا الكتاب؟ وما صلتي به؟ كيفَ تُوفي؟

أسئلة كثيرة ظلت تدور في خاطري كخيوط العنكبوت المتصلة حتى قطعتها بقرار واضح وهو ضرورة فتح الكتاب والرسالة التي به لنرى ماذا بهما.

بدأت أفتح الكتاب رويدًا رويدًا فإذا به يُفتح على ورقة بيضاء مطوية بداخله فأمسكتها لأقرأ ما بها فوجدت رسالة منه يقول فيها:

- أهلًا سماء، إن كنت تقرأين تلك الرسالة فأنا الآن في عداد الموتى.

أردت أن أخبرك أنني أحبكِ منذ الوهلة الأولى التي رأيتك فيها، كنت أظن أني إنسان لي الحق في أن أحب حتى وإن لم أكن أمتلك أي قدر من مميزات الرجال التي تسعى إليها البنات في تلك الأيام، ولكني صُدمت برأيك حينما كنتِ تتحدثين مع صديقتك ندى بعدما قلت لكِ أنني أريد الإرتباط بكِ، فعلًا أنا لا أمتلك مالًا ولا جمالًا لتنظري إلي...

توقفت عن القراءة من صدمة كلامه فكيف سمع كلامي مع

ندى عن هذا الأمر وأصبحت دموعي تتساقط مع خزيي بداخلي، ولكنني أكملت القراءة

-أنا لست بمجنون عندما ظننت أنه يمكنك أن تحبينني كما أحبك، بل أنا أحبك والحب أعمى.

كان بإمكانك أن ترفضي الموضوع دون استهزاء أو تجريح فيّ وقتها كنت سأحزن وأعيش على ذكراك الجميلة بداخلي دون شائبة تجريحك فبعض الناس ذميمي الشكل على حد وصفك ما زال لديهم قلب يحس ويشعر أتريدين أن تعلمي ما حدث لي بعدها، كنت مريضا بالسرطان وكنت في تحسن مستمر حينما كنت أوهم نفسي بحبك لي ولكن بعد ما سمعته من كلمات منك عني ساءت حالتي وها أنا محجوز في المستشفى أو ميت إن كنتِ تقرأين الكتاب الآن.

أتعلمين أمرًا يا سماء؟ رغم كل هذا لم يكن في صدري مثقال ذرة من كره لك أو بغضاء لك فقط عتاب حبيب، أريدك أن تنظري لكِ بعيني وقتها ستعرفين ما أشعر به يا سماء.

ستجدين مع تلك الورقة كتاب به لعبة بسيطة لنلعبها سويًا إن أردت أن تتعلمي كيف ترين نفسك من وجهة نظر الآخرين

لتعلمي من يُحبكِ بصدق ممن يتصنع الأمر.

الأمر بسيط، ستجدين مع الورقة كُتيب صغير مكون من ثلاثين صفحة؛ في كل صفحة رسالة لك فلتقرأي كل يوم رسالة واحدة ولتنفذي ما بها ولتحكمي بنفسك عند خط النهاية.

ضممت الكتاب إلي فور الإنتهاء من الرسالة وأنا أبكي بشدة، فكيف لكِ يا سماء أن تؤذي إنسانًا بلسانك حتى وإن لم تقصدي.

ظللت في البيت أسبوعًا كاملًا لا أفارق غرفتي ولا سريري فقط أستلقى على السرير أنظر للسقف دون حركة.

احتارت عمتي زهرة في وضعي وماذا حدث فما كان منها إلا أن اتصلت بندى صديقتي لعلها تأتي وتحادثني قليلًا.

أتت ندى وجلست معي في غرفتي تسألني ما بي، ولكني لم أتحدث حتى شعرت عمتي زهرة التي كانت تقف بجانبها أنني لن أتحدث في وجود أحد غير ندى، فتركتنا سويًا وخرجت وهنا دفعتني ندى كعادتنا وقالت لي وهي تضحك:

- ما بكِ يا جميلة الجميلات، أوقعنا في الحب يا فتاة؟ فوالله ما تلك إلا أعراض حب بين.

هيا فلتخبريني عنه من هو؟ أأعرفه؟ متي تعرفتما؟ هيا يا سماء

أخبريني!

هنا زاد بكائي ونحيبي وألقيت بنفسي في حضن ندى صديقتي وأنا أتمتم:

– لقد قتلته يا ندى.. أنا من قتلته.

فاستغربت ندى كلماتي وعاودت تسألني:

– من يا سماء؟

فأكملت حديثي بنفس متهدج متقطع:

– أتتذكرين الفتى صديقنا الذي تُوفي قريبًا بعد أن تقدم لي؟

– نعم ما به؟

– قد استمع إليَّ وأنا أحدثك عنه بعدها وأنني لن أنظر لواحد مثله وكان مريضًا بالسرطان فأنتكس وتُوفي.

هنا ساد الصمت كثيرا فلم تُعلق ندى بكلمة وكذا أنا ولكن قاطع صمتنا عمتي زهرة تجلب لنا العصير ثم خرجت ولم تلبث ندى بعدها كثيرًا حتى خرجت هي الأخرى دون حرف واحد نتحدث به.

لم أخبر ندى بموضوع الرسالة ولا الكتاب، فقد طلب مني أن

أجعله سرًّا لا أخبر به أحدًا فقط إما أن أقبل التحدي أو أتركه وألقي بالكتاب بين أحضان أمواج البحر، دفعني فضولي أن أقبل التحدي وأعيش شهرا كما يخبرني برسالة يومية لأرى ماذا كان يرى.

سماء أم دعاء؟!

"باين حبيت أيوه أنا حبيت

حبيت الدنيا اللي بتضحك لي معاك على طول

باين حبيت أيوه أنا حبيت

وبشوف في عينيك الفرحة اللي تخليني بقول"

هذه الأغنية هي أول شيء جال بخاطري فور رؤيتي لكِ في أول يوم وكأنها تؤكد وقتها وقوعي في حبك، وقوعي في حب أجمل فتاة يمكن أن تراها عيني، وقتها دق قلبي دون استئذان فلم يكن لتلك العيون إلا أن تمرق عبر قلبي.

فلتستمعي لأغنية ألف ليلة وليلة لأم كلثوم على شاطئ بحر وأنتِ ترتدي نفس الفستان الذي كنتِ ترتديه أول يوم في الجامعة لبني اللون هذا، ولتسرحي قليلًا في كل كلمة فكل كلمة عنك.

يا حبيبي.. الليل وسماه.. ونجومه وقمره وسهره وإنت وأنا

يا حبيبي أنا.. يا حياتي أنا كلنا في الحب سوا

والهوى.. آه منه الهوى سهران الهوى

يسقينا الهنا.. ويقول بالهنا.

فالليل أنتِ بجمالك وهدوءك، وسماء أنتِ كإسمك صافية نقية فلتنظري الآن إلى البحر ستعرفين مقصدي...

استغربت الرسالة الأولى فكيف لأغنية لأم كلثوم أن توضح لي شيئًا، ولكن إصراري على معرفة نهاية الأمر دفعني لتنفيذه، فأسرعت أرتدي فستاني وخرجت مسرعة أقصد الشاطئ وما إن دخلته حتى وضعت السماعات في أذني وبدأت أستمع لأغنية أم كلثوم وأنا أسير على الشاطئ.

أحسست برعشة في جسدي مع كل كلمة تغنيها أم كلثوم وأنا أتصور أن كل كلمة لي كما يقول وعندما نظرت للماء كما طلب مني وجدت إنعكاس صورتي وفي خلفيتها شروق الشمس وهنا تردد صدى آخر كلمات في رسالة اليوم الأول حينما قال:

- رأيتك شمسًا تُشرق على شاطئ بحر فيستمد منها نوره حتى تتلألأ مياهه، وما إن تبتسمي حتى تعود الحياة لتلك المياه فتتحرك.

ابتسمت إبتسامة خفيفة من جمال وصفه وكلماته.

أنهيت الأغنية ولكن لم تنتهِ منها نفسي، فظللت أسمعها طول

اليوم دون شبع كأنما أستأنس بها.

ظللت أقرأ الأيام تواليًا حتى قرأت يوما طلبًا غريبًا:

بعشق روحك والكلمات

بعشق إحساسك بالذات

كيف بتمشي وكيف بتحكي

قلبي بيشتاق لك بجنون

ما بعرف مع غيرك كون

ولا بقدر مع غيرك احكي

من أول مرة تلاقينا إحساسي من جوة تغير

حبيتك ما بقدر قول لك لو بعرف بوصف لك أكثر

إنت مش بس بتعجبني نظرة منك بتذوبني

بعيش حبك وبموت.

أرأيتِ يا سماء لم تحتاجين سوى لحظة واحدة ونظرة واحدة حتى تُسقطيني مغشيًا عليَّ في حبك، فمن وقتها أصبحت أتنفسك وأهوى وجودك أمام ناظري وكما كانت تقول أم كلثوم:

كنت بشتاق لك وأنا وأنت هنا بيني وبينك خطوتين، كنت ظمأنًا لا أعرف معنى للماء حتى رأيتك ينبوعًا من ماء عذب علمني معنى الماء فاشتقت لكِ في كل لحظة بعدها، اشتقت لرؤيتكِ وهذا الهواء البارد الجميل الذي يداعب وجهك الرقيق ويلامس وجنتيك الجميلتين، فأعترضه حتى أتنفسه فيأتي ملامسًا لك بداخلي.

فقط اتركي العنان لخيالك ونامي.

كان طلبًا غريبًا ليس كعادة باقي الطلبات، ولكني ما أردت إلا أن أنفذه وفعلًا شرعت في النوم.

كان حلمي غريبًا هذا اليوم فكأنما كنت في وادٍ تحيط به الأشجار من كل مكان، أنظر للسماء فوقي حيث كانت تُخترق بشهب جميلة تلامس تلك السحب المتكتلة فتحرقها وتخترقها حتى إذا لامست شعاع الشمس أصدرت ضوءًا كاللچين اللامع يسطع في كل أرجاء الدنيا.

أحسست بقدم تسير مقبلة نحوي، وإذا بشخص وضع يده على كتفي ففزعت لهذا الأمر واستدرت لأري من هو، فإذا به نفس الشخص فابتعدت عنه للوراء في فزع فالأمر كان أقرب للحقيقة منه للحلم فإذا به يتساءل:

– ما بكِ يا دعاء؟ ماذا حدث؟

– أي دعاء تلك التي تتحدث عنها فما أنا بدعاء؟

– ماذا حدث يا حبيبتي مازال غضبك مني موجودًا حين رفضت أن أخرج لأرى الشفق القطبي معك؟

– يا سيدي الفاضل أنا لست دعاء تلك التي تتحدث عنها حتى أنه ليس اسمي، فأنا سماء وكل هذا حلم وسينتهي.

– فلتهدأي قليلًا ولنذهب لرؤية الطبيب لنرى ما حدث؟

– أبعد يديك عني فما أنا بدعاء تلك أنا سماء..!

ظللت أصرخ باسمي حتى اختفى كل هذا من أمامي، ففرحت لإستيقاظي من هذا الحلم المرعب، ولكني فتحت عيني فما وجدتني في غرفتي فما هذا بأثاث غرفتي وكيف للجو أن يكون باردًا هكذا في شهر يوليو، فقمت فزعة أقلب عيني في أرجاء الغرفة فما وجدت شيئًا مألوفًا لي فأسرعت لمرآة كانت بجوار السرير لأرى ماذا فعل بي هذا الشخص الذي كنت أحترمه وأشفق على موته ولكنه كان يضحك عليَّ وما زال حيًّا،

وحين وقفت أمام المرآة كانت الصدمة فلم أكن أنا الفتاة التي ظهرت في المرآة، بل كانت فتاة أخرى فعدت خائفة للخلف بضع

خطوات فوجدت صورة لنفس الفتاة مع هذا الشخص وهم في حفل الزفاف.

جلست على السرير لا أفهم شيئًا مما يحدث لي كيف لي أن آتي لهنا؟ أما زلت أحلم؟ ولكن كيف أحلم بشخصية مختلفة فمن دعاء هذه؟

أسئلة كثيرة تجوب بخاطري دون إجابات واقعية، وإذ فجأة دق باب الغرفة هذا الشخص يطلب الدخول.

سارعت بإرتداء فستان بجواري ثم سمحت له بالدخول:

- صباح الخير يا دعاء، كيف حالك الآن يا حبيبتي؟!

لم أجب عليه فلا أعلم ما عليَّ قوله، فما زلت لا أفهم من أنا، ولكني كنت أنظر إليه بخوف شديد فإذا به يعترض هذا الامر قائلًا:

- ما رأيك أن نذهب لطبيب لنرَ ماذا يحدث؟

لم أستطع الرفض وقتها فقد كنت أريد أن أعلم خبر الأمر قبله حتى فأومأت برأسي بالموافقة.

ذهبنا سويًا في طريقنا الذي لم يكن مألوفًا عليَّ بالمرة فلا أعلم

أي بلد هذه ولكني استنتجت أنها دولة أوروبية من ملامح الناس حولي ومن الجو البارد القارس المحيط بي، ولكن كان هناك أمر غريب، فقد كانت ملابس الناس حولي حتى ملابسي توحي بعصر آخر حقبة قديمة من الزمان. لم أنطق طوال الطريق بكلمة واحدة فقط أسرح في خيالي وما يحدث لي ولا أعلم ما هذا.

دخلنا عيادة لطبيب يُدعى مارك كوينز وهو طبيب نفسي وانتظرنا حتى أتى دورنا في الدخول، دخلنا غرفة الكشف فاستقبلنا مارك بحرارة وكأنه يعرف هذا الشخص معي منذ فترة، ولكني استغربت مطلع كلامه فقد كان يتحدث العربية على الرغم من مظهره الأجنبي ولكن قاطع استغرابي الشديد كلامه:

- مرحبًا دعاء هانم ألا تتذكرينني؟

لم أجب عليه ويبدو أنه لم ينتظر مني ردا فقد كان يفتتح الكلام فقط فأكمل حديثه قائلًا:

- أنا دكتور مارك زميل عمر زوجك.

هنا فقط علمت أن هذا الشخص الواقف بجواري ويدعي أنه زوجي اسمه عمر.

ظل دكتور مارك يسألني في أي سنة نحن وما هو آخر شيء

أتذكره وأشياء من هذا القبيل وكانت تعبيرات وجهه تُظهر خطأ إجاباتي في كل مرة حتى أخذ عمر هذا بعد أن انتهى معي ليحدثه بعيدًا عني.

عاد عمر هذا المدعو بزوجي إليَّ آخذًا بيدي ملقيًا التحية على دكتور مارك وذهبنا.

انتابني الفضول لمعرفة ما دار بين مارك وعمر، ولكنه لم ينطق أي حرف فقط أخذ بيدي واستقلينا السيارة دون كلمة واحدة.

وقفنا في إشارة وهنا قررت التحدث:

- أيمكنني أن أسألك سؤالًا إن سمحت؟

التفت لي مبتسمًا بعينه قبل فمه قائلًا:

- ما لك والاستئذان فقط اسألي ما تريدين فأنا هنا لك ومعك.

كانت المرة الأولى التي أراه هكذا فأنا أرى في عينيه سكينة غريبة، ولكني أكملت كلامي:

ما الذي قاله لك د. مارك؟!

تنهد طويلًا وأومأ برأسه قائلًا:

- أتعرفين يا دعاء أنني كنت متأكدًا أنك ستسألينني هذا السؤال

فأنا أعرفك جيدًا.

أتريدين أن تعرفي ما قاله لي، قال لي أنني أحبك كثيرًا ويجب عليَّ أن أذكِرُكِ بحبي لك مرة أخرى.

لم أفهم شيئًا مما قاله فقط صمت بإبتسامة إمتنان ونظرت عبر النافذة وأكملنا طريقنا.

كنت أنظر إلى نفسي في المرآة مستغربة شكلي، فليس هذا بالشكل المألوف لي، أشعر في كل لحظة أنني مرتبكة، أأنا مريضة؟!

أأعيش في حلم فعلًا؟! وأي الحياتين بالنسبة لي هي الحقيقة وأيهما الحلم؟!

مليون سؤال وسؤال يدور بداخلي، كنت أنتظر في كل صباح أن أستيقظ لأعود لحياتي الطبيعية، ولكني كنت محبوسة في ليلة طويلة ليس لها فجر وحلم لا إستيقاظ منه فقررت أن أساير الحلم حتى ينتهي.

كان عمر لطيفًا معي لأقصى درجة ممكنة، فقد تركني على راحتي في غرفتي واتخذ من غرفة الأطفال مضجعًا له وحيدًا.

استيقظت ذات يوم على صوت حطام أواني في المطبخ فاستغربت وأسرعت نحو الصوت، فوجدت عمر وسط فوضى رهيبة من

أواني متسخة في حوض المطبخ وبقايا طعام على الأرض وعلى وجهه بشكل مضحك جدًّا فإذا به يقول ضاحكًا:

- آسف أنني أيقظتك فقد كنت في خضم حرب مع الأواني، حاولت فقط أن أصنع لكِ فطورًا.

هناك علت ضحكاتي المستمرة على طريقته في تبرير الأمر ووجهه المتسخ بالدقيق فنظر إليَّ قائلًا:

الآن فقط أشرقت الشمس فما كان لها أن تُشرق دون ضحكتك هذه يا حبيبتي.

تورد وجهي حمرة خجلًا من كلماته الجميلة ولم أعرف ما أقوله له فقط نظرت للأرض مبتسمة وهنا قال لي بلهفة شديدة:

- هيا أيتها الأميرة الكسولة استعدي سنفطر خارجًا اليوم ولنترك المصيبة تلك ورائنا فقد أخذت أسبوعًا كاملًا إجازة وسنخرج كل يوم، لم أكن أتذكر ماهية عمل عمر، ولكن استنتجت من كلام دكتور مارك أنه طبيب مثله.

كان صباحًا جميلًا مبكرًا، فلم تتجاوز الساعة بعد الثامنة صباحًا، تملأ السماء سحبًا كثيفة تغطي جميع أرجائها وتسود رياح خفيفة تلامس وجهي ولكنها لا تكاد تُحرك وشاحي.

كنت أتجه نحو العربة فإذا به يوقفني قائلًا:

- أتسمح لي أميرتي أن أصطحبها في نزهة سيرًا على الأقدام، فالمكان ليس ببعيد وأنا أتحجج صراحة كي أسير معك؟

ضحكت من كلماته وأسلوب عرضه وابتسمت.

سرنا في شارع طويل يحفه من الجانبين أشجارًا عالية تضلل عليه وتُصدر أوراقها حفيفا أطرب من العود، كان يحادثني عمر طوال الطريق يحاول أن يُضحكني عمدًا، ولم يفت الكثير حتى وصلنا لمطعم صغير في آخر الشارع مدخله مُرصعة بالورود فإذا بعمر يقول:

- وصلنا يا أميرتي هنا في كييف لا يوجد أجمل من هذا المكان لنفطر فيه.

دخلنا المطعم الذي كان جميلًا جدًّا رغم بساطته، أرضية خشبية بسيطة بكراسي خشبية أيضًا مرصعة بالورود وجدران ذات لون سماوي هادئ مزينة بصور لنا.

استغربت الأمر، ولكن تداركني عمر قبل أن أسأله حتى:

- هذا المطعم ملك لنا يا دعاء فجميع ذكرياتنا هنا.

استغربت الأمر فسألته:

- كيف هذا أو لست طبيبًا؟

أجابني سريعًا بإبتسامة شخص مرَّت حياته كلها أمام ناظريه الآن:

- بلى ولكننا إلتقينا أول مرة هنا على هذا الشاطئ وفور زواجنا قررنا أن نبني هذا المطعم لنحتفظ فيه بجميع ذكرياتنا.

فلتنظري يا دعاء تلك الصورة لنا وقت بناء هذا المطعم، وهذه كنا نطبخ سويًا أول أكلة وأفسدتها كعادتي، وهذه عندما احتفلنا بعيد زواجنا الأول وهذه وهذه كل تلك ذكرياتنا يا دعاء أولا تتذكرين أي شيء؟

لم أعرف ماذا أقول له وقتها كان متحمسًا كشخص عاش كل لحظة بقلبه وطُلب منه أن يُذكر شريكه في تلك اللحظة بها، فكيف حتى وإن ذكره بالموقف أن يُذكره بمشاعره؟!

- هنا بدأت دموع عمر بالسقوط تبعها جسده قائلًا:

- أولا تتذكرين أي شيء يا دعاء! أولا تتذكرينني حتى يا دعاء؟!

هنا لم أتمالك نفسي وسقطت على ركبتي بجواره قائلة له:

– اهدأ اهدأ لا أطيق دموعك، نعم أنا لا أتذكر أيا من هذا ولكن ما كان لشخص في تلك الدنيا ألا يرى ما تُكنه لى في عينيك وفي كل همسة منك وأنا أُقدِّر هذا.

ستتذكر سويًا أليس كذلك؟ فأنت لن تتركني حتى أتذكر كل شىء أليس هذا صحيحًا؟

أومأ عمر برأسه وهو يمسح دموعه ويتمالك نفسه بصعوبة قائلًا:

– آسف ضعيت عليك فطورك هيا ماذا تريدين أن تأكلي؟

حاولت أن أخرجه مما هو فيه فقلت له:

بعد ماذا؟!–

أأتيت بي إلى هنا كي تبكي وتجعلني أبكي! هيا لندخل المطبخ لنحضر الفطور سويًا لأرى إبداعاتك.

كان عمر يستحق أن يُشعر به، فقد كان واضحًا جليًا أنه يبذل كل ما يملك، كانت عيناه تشع حبًا كالسيل الجارف يغدقني به دون طلب مني حتى أو سؤال، كان يتذكر كل تواريخي المهمة، مواقيت أدويتي وكل تفصيلة في حياتي لم ينسَ شيئًا أو ينشغل عني بشيء يومًا ما .

كان يحاول أن يُذكرني بكل لحظة عشناها سويًا فنُعيدها ونعيشها مرة أخرى سويًا.

أحببته حتى ولو لم أكن أفعل من قبل فلم أتذكر شيئًا مما يحاول تذكرتي به فعلًا، ولكني أحببته فقد عشت معه كل لحظة يحاول أن يُذكرني بها وكأنني أبني ذاكرتي من جديد .

أحببته وعشقت طريقة حبه لي وتمنَّيت أن أهبه روحي وعقلي كما وهبته قلبي، تعهدت وقتها أنني سأخبره بكل شي فور رجوعه من العمل ولكن تأخر الوقت ولم يعد عمر من العمل بعد حتى هاتفه مغلق مما أثار قلقي كثيرًا فماذا حدث؟!

انتظرت ساعات طوال مروا عليَّ سنوات عجاف دون خبر يُذكر عنه فقررت ألا أنتظر أكثر وأذهب للمستشفى حيث يعمل.

كان قد أخبرني عمر قبل ذلك بإسم المستشفى التي يعمل بها، فأسرعت إليها أهرول حتى وصلت للاستقبال بأنفاس متقطعة أتساءل:

– من فضلك، أين دكتور عمر؟

– لا يوجد لدينا سوى دكتور عمر واحد فقط ولكنه في إجازة منذ أكثر من شهر يا سيدتي.

- ودكتور مارك؟

- في العيادات الخارجية يا سيدتي أتريدين مقابلته؟

- نعم من فضلك أريد أن أقابله.

أخذتني الممرضة لدكتور مارك والقلق يتملكني تمامًا كيف لعمر أن يُخفي عليَّ أنه في إجازة وأين كان يذهب طوال تلك المدة؟

أسئلة كثيرة تدور بداخلي تمنيت أن يكون لدى دكتور مارك إجابات لها، ولكن خاب ظني فلم يكن دكتور مارك على علم بأكثر مني ولكن أخبرني أن عمر كان يجلس كثيرًا مع دكتور جاك جراح المخ والأعصاب بمستشفى قريبة وأقترح علي أن نذهب نحن الإثنان له حتى نسأله عن عمر فوافقت سريعًا.

لم تكن المستشفى تبعد كثيرًا عنا وحين وصلنا وقابلنا دكتور جاك وذُكر اسم عمر أمامه تلجلج كثيرًا ولكنه تخلى عن حذره تحت تأثير إصرارنا وأخبرنا أن عمر محجوز في المستشفى.

وقع الخبر على سمعي وقوع الرعد فلم أنطق بكلمة واحدة وسقطت مغشيًا عليَّ.

استيقظت لأرى نفسي مستلقاة على سرير بالمستشفى وحولي دكتور مارك ودكتور جاك فما إن وعيت لما حولي أسرعت الوقوف

قائلة:

- أين عمر؟! أريد الذهاب إليه؟!

حذرني مارك من خطورة الحركة الآن علي وأن ضغطي منخفض ولكن دون جدوى فلم أكن أرى أمامي في هذا الوقت سوى عمر وتحت ضغط شديد مني أوصلنا دكتور جاك لعمر.

حين دخلت عليه الغرفة ورآني صُدم كمن كان لا يتوقع حضوري وهنا تركانا دكتور جاك ودكتور مارك لنتحدث سويا فجلست بجواره قائلة:

- أين كنت يا عمر؟ أتتركني وحدي؟

ظهرت على عمر علامات الحيرة كمن لا يعرف ماذا يقول، ولكني أكملت حديثي:

- ماذا حدث يا عمر ألن تُخبرني؟ أنا دعاء حبيبتك!

هنا نظر إلي عمر بعدما كان يقلب نظره في الغرفة كمن كان يتجنب النظر في عيني وقال لي:

- أخيرا تيقنتِ إنكِ دعاء حبيبتي.

- أستصدقني لو أخبرتك أنني لم أتذكر بعد أنني دعاء، ولكني

تيقنت من مكانتي عندك، ولكن لم تركتني يا عمر أستسلمت؟

- لا يا دعاء فحبي لك لا شفاء منه ولا استسلام، ولكن...

تلجلج عمر في نطقه كمن يُخفي شيئًا فأسرعت بِحَثه على الحديث فأكمل حديثه:

- ولكني مريض يا دعاء فأنا أعاني من سرطان الدم.

لم أعرف ماذا أقول وقتها، ولكن سقطت دموعي وحدها دون الإستئذان ولم أكد أنطق حرفًا حتى قاطعني عمر مكملا حديثه:

- نعم يا دعاء فأنا أعاني من سرطان الدم منذ سنتين وأنا الآن في المرحلة الأخيرة منه ولم أكن أريدك أن تعرفي حتى لا تعطيني إهتمامًا زائفًا بدافع الشفقة، فليس في الحب مكان للشفقة.

لقد أحببتك يا دعاء منذ أن كنا سويًا في الجامعة ولا أعلم أمازلتِ تتذكرين هذا حتى أم لا، ولكني لم ولن أنساكِ يومًا، أحببتك منذ الوهلة الأولى التي رأيتك فيها أمامي، ولكني لم أمتلك الشجاعة الكافية لأخبرك بهذا، تتبعت حركاتك وتصرفاتك حتى همساتك، عشقت كل شيء بكِ ولكن في صمت حتى ابتسم الحظ لي يومًا، فإذا بأمي وأمك أصدقاء طفولة فيكتب لي القدر فرصة جديدة كي أراكِ أكثر، ثم زاد تبسمه فضحك لي حين دبرت لنا أمهاتنا زواجنا

وحين سألوكِ وجدتيني مناسبًا تعرفينني جيدًا وتعرفين أهلي ولكن حين سألوني تكفلت عيني بالرد.

لم تحبيني قدر أُنملة من حبي لكِ فما كان لأحد في الدنيا أن يحب أحدًا مثلما أحبك أنا ولكني ارتضيت منك كل شيء وارتضيت أن أراكِ أمامي تبتسمين وتضحكين ويمر العمر علينا سويًا، ارتضيت أن أحبكِ أنا ولا أرى سواكِ، ولكن بدأ القدر يُخفي إبتسامته قليلًا حين إستيقظت ذات يوم فاقدة للذاكرة ولم تتذكري أي شيء حتى أنا، وأخبرني دكتور مارك أنني يجب أن أُذكركِ بكل شيء عشناه سويًا حتى وجدتها فرصة أن أعيش معك حبًا كنت أتمناه، حاولت أن أعبر لكِ في كل لحظة عن حبي بشتى الطرق، فكنت أختلق خروجات كنت أعلم قبل زواجنا أنكِ تتمنيها، فقد كنت أكتب كل معلومة تحبينها أو تكرهيها في تلك المفكرة الصغيرة ونفذتها كلها أن ترقصي تحت المطر أنتِ ومن تحبين وأن يتساقط فوقك الثلج وتلعبي به وأن تري الطاووس بألوانه الزاهية في موسم التزاوج وغيرها وغيرها وأعطيت الحق لنفسي أن أكون حبيبكِ الذي يحقق لك كل ما تتمنين.

أبت الحياة أن تكمل ضحكاتها طويلًا فأصبت بالسرطان وكان هذا القشة التي قسمت ظهر البعير فقد تيقنت أنني سأتركك عنوة

لا محالة وبدأت جلسات العلاج الكيميائي فقد أخذت أجازة من المستشفى شهرًا كاملًا وكنت أذهب للجلسة وأعود منهكا فتظنين أنه إرهاق العمل، ولكن حتى تلك الجلسات لم تأت بالجديد فقد كنت في مراحل المرض المتأخرة، وهنا ألقيت السيف من يدي واستسلمت للأمر وعهدت أن أكتب لك كل شيئًا وأختفي حتى لا أرى نظرة الحب التي كنت أتمناها في عينك، ولكن شفقة على حالي.

كنت أتمنى أن أعيش معك حياتي كلها يا دعاء، ولكن أمدها كان أقصر من أن يستوعب حبي لك، ولكنها إرادة الله عز وجل.

كانت دموعي تسيل مع كل حرف ينطقه عمر، فلم أتمالك نفسي وأحتضنته مغمضة عيني قائلة:

- أنا أحبك يا عمر.

استيقظت من نومي شيئا فشيئا فلم أجد عمر ولم أجد حتى نفسي، وجدت نفسي في غرفتي الأولى كسماء، فقمت فزعة من على السرير أبحث كالمجنونة في الأرجاء عن إثبات أن ما عشته لم يكن حلمًا، ولكن دون جدوى فتعالت صرخاتي التي جذبت عمتي زهرة وأبي لغرفتي فأخذتني عمتي بين أحضانها قائلة لي:

- ما بكِ يا أبنتي؟ قولي لي ماذا حدث؟

لم يكن بي عقل أن أقول ما بي حتى لعمتي التي ربتني بعد موت أمي وأنا صغيرة، فحتى أنا لا أفهم بعد ما بي.

- فقط ظللت أهذي : أرجوكِ يا عمتي لا تتركيه يذهب فلا أستطيع تحمل ألم فقدانه.

ما كان من عمتي إلا أن حاولت تهدئتي شيئا فشيئا واتصلت بدكتور عزام إستشاري الطب النفسي وهو صديق لوالدي الذي أتى مسرعًا وبعدما انتهى من فحصي قال لعمتي:

- إنها في صدمة نفسية حادة يجب أن تأخذ هذا الدواء وتبتعد عن أي ضغط نفسي.

هنا اقترحت عمتي على أبي الذهاب لعزبة جدي - رحمه الله - في الفيوم قليلًا أنا وهي فوافق أبي وبدأت أحضر حقائبي.

فتاة صغيرة

كنت في حالة صدمة طوال تلك الفترة ما الذي يحدث لي كيف أعيش حلمًا حتى أظن أنه حقيقة بهذا الشكل أم أنه حقيقة وكل من حولي ينفي ويريدونني مجنونة.

ذهبت مع عمتي إلى منزل جدي في الفيوم قناعة مني أنني فعلًا في حاجة لتغيير المكان هنا وأن أفصل نفسي عن كل من حولي.

ظللت طوال فترة جلوسي هناك أجالس الاشجار والزرع دائمًا وأسرح في جمالهم والراحة النفسية في النظر إليهم، ولكني كنت أخشى الليل، أخشى أن أنام فأنتقل لحلم آخر لا أقوى على فراقه بعد ذلك على الرغم من أن داخلي كان يأمل أن أعود لأحلم بعمر، فليس سهلًا أن أفقد كل شيء بعدما أمتلكته أخيرًا، ولكن خوفي غلب أملي وحبسه في قفص دون مخرج وأبى أن يترك له العنان.

حاولت المقاومة قدر المستطاع، ولكن في النهاية غلبني النعاس مرة أخرى وتهت في غيابات الجب دون طوق نجاة.

أستيقظت تلك المرة لأجد نفسي في غرفة الناظر إليها يعلم من

الوهلة الأولى أنها غرفة أطفال وجدت نفسي مستلقاة على سرير في غرفة مزدوجة، وعلى السرير المقابل تنام فتاة صغيرة لم تتجاوز العشر سنوات بعد وتغط في نوم عميق.

قمت من السرير خائفة فقد تيقنت أنني في حياة مختلفة عن تلك التي كنت فيها مرة أخرى، ولكن من أكون تلك المرة؟!

أسرعت إلى المرآة لأنظر إلى وجهي فوجدت نفسي مُتمثلة في فتاة صغيرة لم تصل عامها العشرين بعد، فتاة بضفيرتين على كلا الجانبين تغلب على ملامحها البراءة وصغر السن.

حاولت أن أكتشف من أنا هذه المرة فأسرعت بالخروج من الغرفة فوجدت نفسي في بيت بسيط بعدد قليل من الأثاث وحوائط رثة يظهر عليها القدم وإذا بسيدة في منتصف الأربعينيات تقريبا أمامي تقول لي:

- صباح الخير يا سما، ما كل هذا النوم!

أسرعي وأيقظي أختك سارة كي لا تتأخرن عن المدرسة فقد أعددت الفطار هيا.

لم أجب عليها فلا أعرف ماذا أقول لها ولكني تيقنت منذ المرة السابقة أنني يجب أن أُساير الأحداث حتى أعلم ماهية الأمر.

ذهبت وأيقظت سارة تلك فرأيت فتاة صغيرة حازت جزءا كبيرا من الجمال تستيقظ بصعوبة من النوم وتحرك يدها نحو عينيها المغمضتين، فلم تكن تقدر بعد على فتحهما وأخذت تتمتم ببضع كلمات:

- المدرسة كل يوم! أريد أن أستيقظ يومًا ما لأجد تلك المدرسة رُكامًا على الأرض.

أجبرتني كلماتها على الضحك فقولت لها بصوت حنون وأنا أُربت على كتفها:

- هيا أيتها الشقية لا تُتعبيني.

أسرعت سارة إلى الحمام تغسل وجهها ثم أدلفت لخزانة بجوار سريرها ترتدي ملابس المدرسة فقلدتها وأسرعت إلى خزانتي وبحثت فيها عن ملابس المدرسة التي كانت مُعلقة بها فلبستها.

خرجت وسارة من الغرفة وتوجهنا للسفرة حيث يُوضع الفطار، فقد كانت تجلس تلك السيدة الأربعينية التي أغلب الظن هي أمي بجوارها رجل خمسيني تقريبًا يرتدي ملابس قطنية بيضاء ونظارة وفي يده جريدة يقرأها.

جلست سارة بجواري وقالت لهم:

- صباح الخير أبي وأمي.

نظر الجميع إليَّ باستغراب لم أعلم سببه حتى ترك هذا العجوز جريدته قائلًا:

- ماذا دهاك أيتها الشقية، أخيرًا عطفتِ علينا وجلستِ معنا لتناول الفطور!

ألستِ مستعجلة اليوم!

ابتسمت له إبتسامة خفيفة فلم أفهم بعد ماهية سما هذه بعد، ولكن تكفلت سارة بالرد قائلة:

- لا تتعجب يا أبي طالما نحن أولادك سترى منا عجب العُجاب!

ضحكنا جميعًا من شقاوة سارة تلك، ولكنها ما كانت تجلس في أي مكان إلا وتنشر المرح في الأرجاء، فتاة لطيفة مرحة تعشق الضحك والهزل.

ذهبنا للمدرسة التي لم أكن أعرف مكانها حتى، ولكني كنت أسير خلف مرشدتي سارة، ولكني أكملت بعد باب المدرسة لجهلي بها وهنا ألتفتت سارة تنظر إليَّ باستغراب وتقول:

- لم نلتفت لأنك جلستِ معنا اليوم لأول مرة منذ زمن بعيد ولا

لأنكِ لا تتحدثي كعادتك، ولكن كونك تنسين مكان مدرستكِ فهذا كثير!

وإن هانت عليكِ المدرسة أيهون علي!

هنا نظرت إليها باستغراب وقلت لها:

- ومن علي هذا؟

ضحكت طويلًا وقالت:

- أتظنين أنني لا أعلم أنك تُحبين علي زميلك في الفصل!

صُبغ وجهي بالأحمر وبدأت أنفي كل هذا في تلجلج يُثبت ما أحاول نفيه فما كان من سارة إلا أنها ذهبت ضاحكة وهي تقول:

- يومًا ما ستحتاجين لي ولخبراتي.

دخلت إلى المدرسة غريبة لا أعلم أي أحد أو أين فصلي، فوقفت في منتصف فناء المدرسة أنتظر أن أتعرف على إحدى صديقاتي، وهنا وجدت شابًا في مثل عمري يلوح إليَّ من بعيد مبتسمًا مقبلًا نحوي فلم أعرف ماذا أفعل، ولكني توقعت من هو! إنه علي.

شاب تنعكس فيه سُمرة الشمس، تجري في عروق وجهه أصالة النيل المصري، يمتلك من الطول الكثير لكن قسمات وجهه ليست

بالجميلة، وعلى الرغم من ذلك من يرآه يجده جميل لعله إنعكاس لجمال داخله وبشاشة مُحياه.

أقبل علي قائلًا:

- صباح الخير سما، كيف حالك اليوم؟

- بخير.

- لقد تأخرت اليوم كثيرًا فقد انتظرتك طويلًا أسفل منزلكم، ولكن لم تنزلي فذهبت.

- بلى فقد كنت أفطر قبل النزول.

- إذا لن تأكلي معي كعادتنا؟ لقد أحضرت إليكِ مربى التوت التي تحبينها.

هنا أحسست معنى كلمة سارة أنني تغيرت فكل تصرفاتي مختلفة عما فعلت اليوم تمامًا، ولكنى لم أُرد أن يلاحظ أحد أنني مختلفة عن السابق فتفاعلت مع الأمر قائلة:

- طبعًا سآكل معك، لقد أكلت فقط حتى لا يحزن أبي هيا بنا نُسرع للحصة الأولى.

مرَّ اليوم تلو الأخر وأنا أقضي أغلب اليوم مع علي نجلس في

فصل واحد، نتذاكر سويًا، نأكل سويًا في فترة الراحة في منتصف اليوم ونذهب للمدرسة ذهابًا وإيابًا سويًا.

شعرت بحب علي يتملكني كما رأيت حبي في عينيه لم أجد عينًا تحن علي مثل عينه كانت مرآة فاضحة لما في قلبه.

وذات يوم كنا نعود من المدرسة سويًا فقال لي:

- سما أريد أن أخبرك شيئًا؟

- تفضل يا علي.

- أنا أحبك يا سما ولم ولن أحب غيرك فقط أنتِ سماءي.

سننجح سويًا بإذن الله؛ لنحصل على شهادتنا ثم سآتي إلى والدك فور يقيني بدخول كلية الهندسة كما أتمنى وبيتنا لن يصممه غيري.

ابتسمت ونظرت أسفل قدمي وأختصر ردي في كلمة واحدة:

- إن شاء الله.

قاطع كلامنا شابين يكبروننا بقليل أحدهم ممسكًا بسكين والآخر بالكاد يصلب طوله واقفًا.

حاول أحدهم أن يُمسك يدي فما كان من علي إلا أن ضربه فرد عليه الآخر بالسكين التي استقرت في قلبه وهنا صرخت باسمه

عاليا، ولكن دون جدوى فلم يشفع لي عندهم صراخي بل أقبل الإثنان مرة أخرى نحوي ولكن علي كان سدًا منيعًا بيني وبينهم يتلقى الضربات في ضهره ووجهه إلي يخاف أن يُظهر عليه ألمًا يفزعني.

ظللت أصرخ وهم وحوش لا يتوقفون حتى جذب صوتي سكان المنطقة فاجتمعوا وألقوا القبض على الشابين هنا فقط خر علي صعقًا مغشيًا عليه بين أحضاني، فقد رفضت أن أتركه ولو للحظة وأخذت أحدثه حتى وأنا على يقين أنه لا يسمعني الآن:

- هيا يا علي لا تتركني وحيدة! هيا انهض لنكمل طريقنا فلم تصبح بعد مهندسًا كما كنا نتمنَّى ولم نصمم بيتنا الصغير بعد يا علي!

استيقظ يا علي أرجوك فلا أريد أن أفقدك أنت أيضًا!

تلطخ فستاني بدماء علي التي امتزجت بدموعي فلم يفترقا ولن يفترقا وظللت أصرخ باسمه حتى أيقظتني عمتي مرة أخرى من هذا الحلم، فألقيت بنفسي بين ذراعيها باكية ولم أنطق بحرف.

لم أخرج من المنزل منذ ذلك اليوم ولم يغمض لي عين رغم مرور ثلاثة أيام، فكلما تغفل عيني أخاف فأفزع وأحاول أن أوقظ نفسي بأي شيء.

طبيب يدخل البيت يُعطي وصفة الخلاص وآخر يُنكرها ويُمجد في وصفته ولا هذه نافعة ولا تلك، بل بضع محاولات من أصدقاء أبي إرضاء لأبي.

جال بخاطري أن أفتح كتاب عمر الذي أخته من والدته في الجامعة فقد كنت تركته منذ بداية تلك الأحلام الغريبة فأمسكته وما إن فتحته حتى وجدت أمام ناظري جملة واحدة في داخل الصفحة ألا وهي: "ألم تعلمي كم أحبك بعد!"

فزعت من تلك الجملة الغريبة التي فتحت الكتاب عليها وألقيته من بين يدي، ولكني عاودت التقاطه مرة أخرى بعد هدوئي، وحين فتحته مرة أخرى وجدت نفسي قد فتحته على صفحة أخرى مكتوب فيها:

أنت قلبي فلا تخف وأجب هل تحبها

أنت قلبي فلا تخف وأجب هل تحبها

وإلى الآن لم يزل نابضًا فيك حبها، لست قلبي أنا إذن إنما أنت قلبها.

وللمرة الأولى جال في خاطري أن أقلب في صفحات الكتاب وهنا كانت الصدمة فلم أجد شيئًا مكتوبًا سوى تلك الكلمات التي

أختفت فور قرائتي لها فألقيت الكتاب من يدي!

أيعقل أن كل ما أمر به مجرد هلوسة!

إذن ما تلك الجملة التي قرأتها منذ قليل؟!

بالفعل أنا أعشق عبد الحليم، ولكني لم أكتب تلك الجملة أبدًا!

أسرعت بالكتاب لأبي وقولت له:

- أبي انظر هنا في هذا الكتاب!

- ماذا يا بُنيتي؟ ما هذا الكتاب؟

- فقط انظر ما بداخله!

أمسك أبي الكتاب يفر ورقه شيئًا فشيئًا ثم أغلقه وأعطاه لي قائلًا:

- ما هذا الكتاب الفارغ يا سماء؟

تغيرت ملامح وجهي وفتحت الكتاب فلم أرَ به أي شيء مكتوب فقلت لأبي:

- وأيم الله كانت هناك كلمات مكتوبة هنا منذ لحظات كيف مُسحت؟!

تغيرت نظرات أبي إليَّ من الجد إلى الشفقة وأخذني بين ذراعيه قائلًا:

- يجب أن تنامي يا سماء سأعطيكِ حقنة مهدئة.

- لا يا أبي لا أريد النوم!

- انتهى النقاش يا سماء ستأخذين الحقنة لا مفر.

أعطاني أبي الحقنة المنومة عنوة فلم أقدر أن أخبره عن أحلامي بعد أن ثبت خطأ كلامي عن الكتاب وما هي إلا لحظات حتى أغمضت عيني.

حب عمر

استيقظت في مكان مظلم كأرض زراعية في جوف الليل يُغنيها بدر السماء عن أي إضاءة وأنا أقف أستمع لمحادثة بين شخصين لا أرى ملامحهم جيدًا، فأقتربت قليلًا فوجدت عمر فساقني شوقي إليه، ناديت عليه، أسرعت إليه أحتضنه فما تمكنت من ذلك كمن يمسك السراب بيديه فلا يحوذ شيئًا، حاولت مرة تلو الأخرى فلم أستطع أن أصل إليه ولم يكن يسمع ندائي من الأساس فحتى في الحلم لم أقدر على وصاله.

نظرت لمن يُحادثها فوجدتها أنا!

صُدمت وعُدت خطوات للوراء تالية المعوذتين فكيف هي أن تكون أنا وأنا هنا!

ما الذي يحدث هنا إنه ليس بحلم إنه كابوس!

استرقت السمع فوجدت شبيهتي تقول له:

- فعلًا لم ولن أحبك يومًا، فلترتحل ولتُظهر جزءا من الكرامة

ولا تحدثني مرة أخرى.

ثم أدارت وجهها وهي تكمل الحديث:

- أجننت! كيف لفتاة مثلي ينتظرها مستقبل باهر أن تنظر إليك أنت أيها الشخص العادي.

نعم أنت عادي، لست أكثر من كونك شخصًا عاديًا غير متفوق مثلي حتى، كما أنني جميلة جدًّا كيف لك أن تظن أن فتاة بجمالي ستنظر إليك فأنت لا تملك أدنى مقاييس الجمال حتى، ولا تقل لي ليس للرجل من جمال لأن هناك الكثير ممن استحوذوا على جمال.

لقد خذلتك أوهامك وتخيلت قصة حب بيننا لم تُكتب لها بداية حتى تُكلل بنهاية، قصة حاولت أكثر من مرة بتجاهلي لك أن أُطفأ وطأتها عندك بأن أجعلك تكرهني احترامًا لي ليس تقديرًا لك، ولكن بلا فائدة فقد كنت تحاول أن تتقرب مني كل يوم أكثر وأكثر فهنا كان يجب أن تعرف حدك ومقامك.

وقفت أصرخ بعلو صوتي:

- هذه لست أنا فأنا أحبك ولا يوجد أي من هذا الكلام بداخلي.

نعم قلت مثله أمام مرآتي في غرفتي، ولكن لم أقله أمام أحد آخر.

خرجت كلماتي مني وذابت في الهواء، فلم يكن لها صدى من الأساس، ولم يشعر بها أو يستمع إليها أحد فلم أكن سوى خيال وقتها لا يقوى على التغيير والتعديل فيما يحدث.

وقف عمر مصدومًا لا يعرف ماذا يقول، يحبس دموعه بأقصى قوة حتى لا تتهافت سقوطًا، ولكن لم يستطع فانهارت دموعه تسقط دون صوت يحاول أن يتصيدها ليوقفها، ولكن أنى له هذا.

حاولت أن أقترب من عمر ولكني لست هنا. ظل قلبي يتمزق إربًا إربًا مع كل دمعة تسقط منه.

لم أكن أعرف أنني سأحبه لتلك الدرجة على الرغم من كونه نفس الشخص الذي كنت أتهرب منه منذ أسبوعين ليس إلا ولم أتعامل معه في العالم الحقيقي قط.

ذهب عمر مسرعًا من المكان ولم يُعقب على كلمات شبيهتي في الحلم، ظل يجري ويجري وأنا أتبع خُطواته لأعرف إلى أين يذهب.

وصل إلى بيته، صعد إلى غرفته وما إن فتح بابها حتى وجدت صورًا لي في كل مكان في الغرفة، صور تُجسد كل لحظة مررت بها طوال السنوات الأربع الماضية فتلك صورة لي وأنا أضحك، وتلك أنا حينما أوقعت المثلجات على فستاني وهذه وهذه...

وجدت حائطًا مُعلقًا عليه أغلفة لعلكة كنت أحب أن أشتريها، لورقة كتبتها يومًا ثم مزقتها وألقيتها، لطبق بلاستيكي كنت آكل فيه في الجامعة، لزهرة قطفتها يوما فسقطت مني.

وقفت أمام كل هذا لا أعرف ماذا أقول أو أفعل فقط أُقلب ناظري في كل هذا وبداخلي أسئلة عدة تتكرر:

- كيف لشخص أن يُحب آخر لا يُبادله الحب بتلك الطريقة؟

ألم يتملكه اليأس يومًا؟

كيف بنى لنفسه عالما كنت بطلته ولم يكن له دور حتى في عالمي ولم أشعر به؟

أسئلة كثيرة كانت تجول بداخلي، ولكن قاطع تفكيري منظر عمر وهو يجثو على ركبتيه يبكي أمام صوري قائلًا:

- ما الخطأ الذي فعلته يا سماء؟! أأخطأت أن أحببتكِ؟! أم أخطأت حين أردتك لي فقط؟!

لا لا لا أنتِ محقة، لقد أخطأت حين ظننت للحظة أنه يُمكنك أن تبادلينني نفس الشعور!

وأخطأت أيضًا حين ظننت أنه يُمكنكِ أن تعدلي عن رأيك

حين تعرفين كم أحبك، وأصررت على هذا حتى بعد أن شعرت برفضك لي إلى أن تحدثتي وقتها أُزيلت الغشاوة من فوق عيني وعرفت أنك لم ولن تُقدري حبي لك أبدًا.

حاولت أن أنساكِ ولكن دون جدوى، فلم يكن بيدي أن أتذكرك حتى أتحكم في نسيانك فما لحبيب أن ينسى حبيبه مهما حاول.

ظل حبي لكِ في قلبي دائمًا، ولكنه أمتزج بجرح لا يندمل أبدًا، جرح هوى بي في قاع تعبي حتى تدهورت حالتي وها أنا الآن في المرحلة الأخيرة لسرطان الدم بعدما شُفيت بك لحظة أن رأيتك للمرة الأولى مما ساعدني على العلاج وجعلني مقبلًا عليه حتى قاربت على الشفاء، ولكن ها أنا ذا قد انتكست.

قُطعت كل السبل بيننا يا سماء فلم أستطع حتى أن أخبركِ كم أحبك قبل أن أفارق تلك الحياة، ولن أخبرك بتعبي أبدًا حتى لا تظنينني أستعطفك.

سأعيش ما تبقى لي من ساعات أو سويعات بين جدران غرفتي التي استعضت بها عن جدران قلبك يكفيني أن أفارق الحياة وأنا مُمسك بصورتك أحتضنها.

سقط عمر على الأرض بوجهه شاحب لا يتحرك، سقط عمر وسقط معه قلبي فها هو يتهاوى أمامي وليس في يدي أن أنقذه حتى بصرخاتي.

ظل عمر يتنقل بين طرقات المستشفى محمولًا على أكتاف أخيه وأبيه وأنا خلفه، يتعالى الصوت من أبيه أن أنقذوا ولدي من فضلكم لا تتركوه يموت ولكن دون جدوى، فقد دخل الطبيب الغرفة به ولم يغب كثيرًا ثم خرج بعد لحظات معلنًا موت عمر.

مات عمر ولم يمت حبي في قلبه لحظة واحدة طوال معرفته بي، مات عمر وأذن لحبه أن يشعر به قلبي بعدما فقدته هو.

زواج مدبر

استيقظت من نومي تلك المرة وأنا على يقين أن أحلامي بعمر قد انتهت للأبد، ولكنها انتهت بعدما نقلت لي قلبه ينبض بداخلي ما حييت.

استيقظت من هذا الحلم لأجد نفسي مستلقاه على سرير في غرفة يغلب عليها اللون الوردي الفاتح وتعلو صور الشخصيات الكرتونية الجدران.

قمت من السرير وأسرعت لأرى نفسي في نفس مظهري الذي أظنني عليه فلم أعد أعرف أي شخصية هي أنا.

رأيت في المرآة فتاة ترتدي نظارة وتربط شعرها خلف رأسها مرتدية فستانا لا تفرقه عن السماء، علا صوت ينادي من بعيد وكان الأسم يتردد في أذني حتى أطمأن قلبي أن هذا اسمي:

- هيا يا سماء، سنتأخر على جدك.

أخيرًا استيقظت ووجدت نفسي، ها أنا ذا هنا سماء تلك الفتاة

التي أعرفها، أسرعت بإرتداء ربطة شعري زرقاء اللون فلم أكن أستغنى عنها يومًا وشرعت بالنزول.

كنا سنذهب عند جدي عبد الكريم جدي لأبي والذي يقطن في أسوان، كم كنت سعيدة بالذهاب إلى أسوان فهي أجمل مدينة يمكن أن تراها عيناك، فلتنظر للنيل الساحر حين يسير متمايلاً على شطيه بدلال تتراقص أمواجه يمينًا ويسارًا دون توقف ينشر سحره على كل أرض يمر عليها كساحر عظيم حول أرضًا جرداء لجنان ومروج.

ذهبنا في طريقنا أنا وأمي وأبي اللذان استطاعا أن يأخذا إجازة من عملهما بعد طول انتظار فأبي جندي بالقوات المسلحة المصرية، أما أمي فهي طبيبة في مستشفى القوات المسلحة.

لم نكن نزور جدي كثيرًا لبعد مسافة عمل أمي ولغياب أبي المتواصل بالجيش، ولكن تلك المرة أصر جدي على حضورنا فابن عمي عمر على وشك دخول الجيش ولقد اجتمع الجميع لتوديعه.

وصلنا هناك بعد سفر طويل من الشمال للجنوب وحين دخلنا وجدنا الجميع من عماتي وأعمامي وأولادهم في حديقة المنزل.

تعانق الجميع وتبادلت وعماتي الكثير من القبلات فلم أرهم منذ

عشر سنوات.

ساد الهرج والمرج قليلًا حتى صمت الجميع فجأة فأدرت وجهي حيث ينظر الجميع، فإذا بجدي آتٍ يدفعه على كرسيه عمر ابن عمي في بدلة عسكرية متناسقة القوام.

جدي عبد الرحمن كان لواء طيار سابق بالقوات المسلحة، كان قد أصيب في نكسة ٦٧ مما ألزمه كرسيه، ولكنه أصر أن يكمل ابنه الأصغر أبي أحمد الذي وُلد في تلك السنة مسيرته ويلتحق بالجيش المصري وها هو ذا عمر ابن عمي مختار يُكمل عقد العسكريين في عائلتنا.

أسرعت نحو جدي وألقيت بنفسي جاثية على ركبتي أقبله وأحتضنه وقابلني بنفس اللهفة والشغف، فكنا على توافق تام أنا وجدي حيث يخبرني الجميع دائمًا أنني أشبه شخص لجدي طبعًا.

أنهيت سلاماتي وتحياتي أنا وجدي وألتفت لعمر ملقية عليه السلام، فأومأ برأسه فقط ولم ينطق بكلمة واحدة، فلم نكن على معرفة وطيدة أنا وهو، ولكنه في نهاية المطاف ابن عمي.

أمسك جدي بيدي وضغط عليها حتى انتبهت له قائلًا في نفس الوقت:

– فليسمعني الجميع أريد أن أخبركم بشيء.

أنصت الجميع لجدي وهنا استطرد حديثه قائلًا:

–لا يخفى على أحد فيكم أن عمر أصبح جنديًا طيارًا في الجيش المصري أخيرًا ليخلفني فيه، وهذا ما كنت أتمنى، ولكن أمنيتي لم تكتمل بعد، فها أنا ذا أقارب التسعين وأوشك عمري على النفاذ وكم تمنيت أن أرى أبنًا لعمر لذا فقد قررت أن أزوج عمر قبل أن يذهب لمعسكره التدريبي بعد شهر من الآن.

استغرب الجميع كلام جدي حتى عمر نفسه ظهرت على ملامحه التشتت والتوتر، ولكن ما كان لأحد أن ينطق كلمة واحدة بحضور جدي، فعلى الرغم من أنه يضحك ويمزح معنا إلا أنه عسكري صارم لا يقوى أحد من المنزل على رفض أصغر طلب له.

أكمل جدي حديثه قائلًا:

– ولن أجد لعمر زوجة تصون عرضه وتُسعده وتملأ حياته أفضل من سماء ابنة حسام ابني.

هنا أصفر وجهي وظللت أردد داخلي بضع كلمات:

– ما لي الآن وهذا الأمر! فلتفرح به بعيدًا عني.

سأل جدي إن كان لأحدنا رأي آخر فلم ينطق أحد فأكمل صدمته لي قائلًا:

- إذن فالخميس القادم بمشيئة الله سيُعقد قران سماء وعمر هنا في منزلي.

انفض الجمع ودخلت وأمي وأبي غرفتنا وهنا انفجرت قائلة:

- أي عمر هذا الذي أتزوجه، أنا لا أطيق النظر إليه أصلًا ولا أعرفه!

فلتقل شيئًا يا أبي!

وأنتِ يا أمي لِمَ تصمتين؟!

لم ينطق أبي وأمي بأي شيء، ولكن لم تظهر عليهم علامات الدهشة وهنا تداركت الأمر قائلة:

- فلتنتظروا قليلًا، أكنتما على علم بالأمر قبل أن نأتي؟!

حتما تمزحون معي كيف يا أبي ترضي بذلك ولا تخبرني.

رد أبي بخجل قائلًا:

- عذرًا يا أبنتي فلم أستطع أن أرفض طلبًا لأبي فقد بلغ من العمر أرذله، وكم أحببت أن أحقق له ولو أمنية واحدة يتمناها

فلم أستطع أن أحقق أي من أمانيه من قبل، فمنعني مرضي من أن أصبح

طيارًا فلا تقوى أذني على ضغط الهواء عاليًا ومنعني القدر أن أنجب له ولدًا، ولكني أنجبتك أنتِ يا أجمل بنت في العالم أجمع فأرجوكِ لا ترفضي فتؤذي قلب جدك فهو لا يحتمل.

وضعني أبي في موقف لا أُحسد عليه، فلا أقوى على القبول ولا أقوى على الرفض فما كان مني سوى البكاء فاندفعت باكية للحمام مُغلقة على نفسي.

بعد عناء كبير من رفض وبكاء ودموع قضينا فيه أسبوعًا كاملًا وقد كان الوقت الكافي لجدي حتى يُرتب كل شيء للفرح، فلم أجد مفرًا من الموافقة على عمر الذي كنت أثق تمامًا أنه لا يطيق النظر إليَّ أيضًا، ولكنه وافق أيضًا تجنبًا لغضب جدي العارم.

بين يوم وليلة وجدت نفسي في غرفة رجل لم أتحدث معه سابقًا وجهًا لوجه ولا أعلم ماذا أفعل!

دخل عليَّ عمر الغرفة ففزعت من السرير للحائط القريب منه فما كان منه إلا أن قال:

- لا تخافي يا سماء هذا أنا عمر.

فقلت له غاضبة:

- ما الذي تظن نفسك فاعله كيف ستنام هنا؟ فلتخرج حالًا.

رد علي قائلًا:

- لا تقلقي يا سماء قد أُرغمت على تلك الزيجة مثلك تمامًا وفي أول الأمر وآخره أنا ابن عمك فلا تخافي واطمأني لن أمسك بسوء .

نعم أنا لم أستطع أن أرفض الأمر منذ بدايته وكذا أنت، ولكن ما زال الأمر بأيدينا.

فلنجري اتفاقًا سويًا أن نستمر هكذا أمام الجميع متزوجين، ولكن بيني وبينك نحن أخوة وما هو إلا شهر واحد حتى أذهب لمعسكري ولن أعود سوى بعد ثلاثة أشهر وقتها سنتشاجر ونخبر الجميع أننا لم نعد نريد هذا الزواج وأننا نريد الانفصال، ووقتها لن يعارضنا أحد وستحررين مني، ما رأيك يا سماء؟

فكرت قليلًا ثم قلت:

- موافقة ولكن على شرط أن تعدني بهذا الآن.

رد عليَّ بنعم فطمأنني.

أخذ قلبي!

في صباح اليوم التالي وبعد أن إلتزم عمر بشرطي بأن ينام في الصالون وأنا في الغرفة استيقظنا على طرق على باب الشقة.

فزع أحمد سريعًا من مضجعه وكنت قد سبقته للباب أنظر خلاله من يقف عليه، فوجدت عمتي وأعمامي وجدي وسمعنا صوت ضحك شديد يتبعه قول لأبي:

- كان علينا أن ننتظر قليلًا يا أبي فالوقت ما زال مبكرًا.

فرد عليه جدي وهو ما زال يدق الباب:

- أي وقت هذا الذي تتحدث عنه! فعمر ضابط يستيقظ مبكرًا ثم ها هو الظهر قارب على الآذان لقد سمعت كلامكم وانتظرت حتى الظهيرة.

نظرت لعمر وكل واحد فينا ما زال بملابس فرح الأمس.

لم ينطق أي أحد فينا حرفًا واحدًا، بل أسرع كلانا كما لو كنا فهمنا ما بداخلنا قبل أن يصل لأفواهنا.

أسرعت أرتدي عباءة الصباحية التي أحضرتها لي جدتي فلم أكن قد اشتريت شيئًا بعد، وإن لم أرتد هذه العباءة لعرفوا أن في الأمر سرًّا.

أسرع عمر أيضًا يرتدي شيئًا مما أحضره له جدي، فهو الوحيد الذي كان يُحضر لكل شيء، فقد جهز الشقة في بيت جدي في أسوان ووضع فيها كل شيء يمكن استخدامه وأعطاها لعمر هدية زواجنا حتى أنه كتبها باسمه حتى نقضي بها الإجازات هنا في أسوان.

كان المشهد أقرب ما يكون للكوميدي، نجري أنا وعمر فنصطدم ببعضنا ونحن نحاول أن نُخفي آثار إتفاقنا.

جلست في غرفتي أضع بعض المساحيق على وجهي وسألت عمر أن يفتح الباب لهم، وعندما قارب على الخروج من الغرفة توقف قليلًا ونظر إليَّ قائلًا:

- سماء.. أنتِ لا تحتاجين أي شيء تضعينه، فأنتِ جميلة حتى وأنتِ مستيقظة من النوم، أنتِ جميلة في كل أحوالك.

أخبرني عمر هذه الكلمات وخرج مسرعًا قبل حتى أن يرد وجهي ولو بتعبير بسيط.

عاودت النظر للمرآة يتردد في خاطري تلك الكلمات، فلم أضع

شيئًا وخرجت مبتسمة فقد كانت مجاملة جميلة من عمر لم أكن أعرف أنه يفهم في هذا.

خرجت فوجدت جدي وأعمامي وعماتي ينتظرونني في الصالون وفور رؤيتي تعالت الزغاريد من عماتي وبنات عمومتي جميعهم.

استقبلتني أمي وأم عمر بالأحضان والقبلات وهم يثنون عليَّ ويخبرون عمر كم هو محظوظ لزواجه من فتاة جميلة، ظل عمر ينظر إلى طوال جلوسهم عندنا يختلس نظرات شيئًا فشيئًا ولم أرَ تلك النظرة في عينيه من قبل.

قاطع حديث الجميع جدي حينما قال:

– عمر، غدًا بإذن الله ستعود وزوجتك للقاهرة لأنك ستذهب لوحدتك العسكرية بعد غد لا تنسَ هذا.

رد عليه عمر قائلًا:

– لن أنسى يا جدي لا تقلق.

وضع جدي يده في جيبه وأخرج حاملة مفاتيح وأعطاها لعمر قائلًا:

– خذ يا عمر هذا مفتاح شقتك الجديدة في القاهرة في المعادي

ولا تقلق هي مُجهزة من كل شيء هدية مني لسماء حبيبتي، وقد جعلتها في المعادي بجوار والدتك يا سماء حتى لا تشعرين بالوحدة عند ذهاب عمر للجيش.

سارع عمر بالقول:

- كثير هذا يا جدي سأجلس مع أبي حتى أُجهز شقتي.

غضب جدي من رد عمر قائلًا:

- أكبرت عليَّ يا ولد! اصمت ولا تقل قولًا بعد قولي.

جثا عمر على ركبتيه مقبلًا يد جده قائلًا:

- لم أقصد هذا يا جدي، شكرًا لك أطال الله لنا في عمرك يا جدي.

انتهت تلك الجلسة العائلية ولم يلُاحظ إتفاقنا وبعدما رحلوا جلس معي عمر ليحادثني:

- سماء أريد أن أتحدث معك في أمر مهم؟

- تفضل يا عمر ما الأمر؟

- لقد رأيتي بنفسك جدي ومدى إصراره على أخذي لتلك الشقة في المعادي بالإضافة لهذه الشقة التي نحن بها، وسيعلم

الجميع عن إتفاقنا إن لم نعش في تلك الشقة ولو مؤقتًا حتى نعرف ماذا سنفعل ونُمهد الأمر لجدي أننا نريد الإنفصال أو كما تريدين أنت.

كان يقول تلك الكلمة على استحياء دون أن ينظر إليَّ بطرف عينه حتى ولكنني لم أعلق على الأمر بل اكتفيت بهز رأسي فقط، وهنا ابتسم عمر إبتسامة لم أره يبتسمها من قبل قائلًا:

– سماء فلتعرفي أنني لن أُجبرك على شيء أبدًا، فإن كان في قلبك غصة ولو قليل من هذا الإقتراح فلتُخبريني واعلمي أنني سأنفذ ما ترتاحي له مهما كلف الأمر.

شعر قلبي وجسدي برعشة لم أرَ مثيلًا لها من قبل، وشعرت للحظة كما لو أنني أشعر بكل شعيرة في جسدي صغيرة تقف متأثرة بكلماته الجميلة التي ألانت قلبي له كصحراء جرداء استشعرت الماء لأول مرة في حياتها، فتشربته ولانت تربتها تفتح ذراعيها محتضنة تلك السحابة المُنزلة لهذا الماء أن ازرعي في ما تريدين الآن فأرضي لم ولن تُزرع من سواكِ.

لم أشعر بهذا الأمان من قبل، فلم يأبه أحد بما يُريحني من قبل، فقد قرر أبي دخولي كلية الطب رغم عدم حبي لهذا المجال يومًا

ولكنه كان مغرمًا بلقب طبيبة لي، فكم قال لي كم هو ملائم لي أن أدعى بالطبيبة سماء، وكذا زيجتي تلك لم يأخذ أحد رأيي بل قرر جدي الأمر دون حتى الرجوع إليَّ، وغير هذا الكثير والكثير طوال عمري.

ظل عمر ينظر إليَّ، لم يمل لحظة واحدة وأنا شاردة في عالم آخر ولم أشعر به سوى بعد مرور الكثير من الوقت فقد عدت من سلواني لنفسي فوجدته ينظر إليَّ ويبتسم تلك الإبتسامة التي ارتبطت به لدي، فلم ولن أجد أحدًا يبتسم مثلها مرة أخرى.

انتابني الخجل والحرج فور رؤيته ينظر إليَّ بهذه الطريقة التي لن أُنكر أنها لاقت في قلبي استهواء، ولكني تلجلجت فجأة وقمت مضطربة من موضعي أقول متلعثمة:

- يجب.. يجب أن أذهب لأجهز حقيبة السفر فلدي الكثير أفعله قبل سفر غد.

فرد عليَّ عمر مبتسمًا:

- أي حقيبة يا سماء، حقيبتك كما هي منذ أمس .

رددت مضطربة أنقل جسدي من موضعي نقلًا حتى أنني صدمت كل أواني الطعام التي أحضرها أهلنا واستمر قولي:

- لا لا لدي الكثير لأفعله، أستأذنك يا عمر.

قلت تلك الكلمات وأسرعت لغرفتي أتلفت كل لحظة ورائي لأرى عمر ولم يُزل عينه عني وأُعاود النظر أمامي فور رؤيته ينظر إليَّ.

قضينا الليلة كسابقتها كل في مكانه ولكن قلبي لم يكن كسابق عهده أبدًا، بل سكن وهدأ حتى أنني نمت دون أن أُغلق الباب كالليلة السابقة، فقد اطمأن قلبي لعمر أنه لن يؤذيني يومًا.

فتحت عيني فوجدت عمر يضع عليَّ غطاءً، فقد كان جسدي يرتعش من البرد ولكني سرعان ما أغلقتها مرة أخرى أتحسس رد فعله، فوجدته يضع الغطاء عليَّ ثم جلس على كرسي بالقرب من باب الغرفة يتحسس موضع أقدامه حتى لا يُوقظني، وأخذ ينظر إليَّ من بعيد حتى غابت عيناه فى نوم عميق فابتسمت قليلاً وأغمضت عيني مبتسمة.

حب مكتوم

استيقظت صباح اليوم التالي أتلفت حولي فلم أجد عمر على كرسيه فنزلت عن السرير أتفقده في موضع نومه فلم أجده ولكني سمعت ألحانًا جميلة لأم كلثوم تقول:

ياما.. ياما كنت أتمنى أقابلك بابتسامة أو بنظرة حب أو كلمة ملامة..

وسمعت صوت يدندن مع أم كلثوم وهو غارق في بحر الحب، فاتجهت للصوت فوجدت عمر يُحضّر سفرة الطعام وهو يغني وما إن رآني حتى ابتسم واتجه نحوي يقول لي:

- صباح الخير يا سماء يا أجمل وردة في الكون، تلك الوردة لأجمل فتاة.

وأعطاني وردة حمراء ثم أسرع تجاه كرسي السفرة فأخرجه لي وأجلسني عليه يقول لي:

- هيا لنفطر قبل أن ننزل فهذا الفطور من يد الشيف عمر وهو

أحلى ما يُمكن أن تتذوقيه يوما ما أتدرين لماذا؟!

نظرت إليه بنظرة ممزوجة بابتسامة قائلة:

- لِمَ أيها الشيف لأنك الشيف عمر أليس كذلك؟

ردَّ عليَّ وهو يقترب من يدي شيئًا فشيئًا حتى أمسكها وقال لي:

- لا بل لأنني فعلت هذا لأعز إنسانة لدي، لكِ يا سماء.

سارعت سحب يدي شيئًا فشيئًا وأنا أقول له:

- من فضلك يا عمر لا تفعل هذا لقد إتفقنا أننا أخوة حتى ننفصل فلا تخل بأتفاقنا.

ظهر الحزن والحرج على وجه عمر، ولكنه حاول جاهدًا أن يتحكم في قسمات وجهه، فكان وجهه يضحك وقلبه يدمع وهذا يظهر عليه ولكنه قال:

- أنا آسف يا سماء لم أقصد هذا!

لا تقلقي يا سماء ما زال إتفاقنا قائم لم أغيره.

وسارعَ بالقيام من على سفرة الطعام ولم يذق طعماً منه وهنا قلت له:

- ألن تُكمل فطورك؟

رد علي وهو يبتسم وعينه تدمع في آنٍ واحد:

- لقد شبعت يا سماء سأذهب لأستعد للسفر.

قمت أنا الأخرى دون أن آكل شيئًا وأنا ألوم نفسي كيف فعلت هذا ولماذا قلت له هذا وفي داخلي لين له.

ركبنا القطار متجهين للقاهرة متجاورين لكن متنافرين، فلم يتحدث عمر ولم ينطق ببنت شفه.

كان النوم يصارعني ليغلبني دائمًا أحرك رأسي يمينًا ويسارًا ثم أستيقظ وقتما لا أستطيع التحكم في رأسي فوضع عمر رأسي على كتفه وقال لي:

- فلترتاحي قليلًا ولا تقلقي.

لم أتوقع أن يفعل ذلك خصوصا بعد موقفنا السابق وكلامي ورد فعلي ولكن عمر قابل توقعاتي بسماحته وإبتسامته الجميلة التي مازالت ممزوجة بجرح من كلماتي.

وضعت رأسي على كتفه فغلبني النوم ولم أشعر سوى بعمر يحاول أن يُخرج نقودا من جيبه ولكن بحرص حتى لا يُوقظني ووجدته يهمس لرجل قائلا له:

- بهدوء من فضلك فزوجتي نائمة أريد وجبتي طعام واجعل واحدة منهم حارة ولا تنسَ البطاطس المحمرة.

كنت أسمع كل شيء بعين مغمضة لم أفتح عيني ولكني استغربت كيف عرف أنني أحب الطعام الحار والبطاطس المحمرة، فلم أره قبل زواجنا سوى مرة واحدة منذ خمس سنوات والمرة الثانية كانت وقت زواجنا.

حضر الطعام وأراد عمر أن يوقظني، وما إن قارب على المسح على رأسي حتى أوقف يده وأعادها بجواره وهمس في أذني قائلًا:

- سماء، فلتستيقظي لتأكلي شيئًا فلم تأكلي شيئًا منذ الأمس.

استيقظت فوجدت نوع الطعام الذي أحبه بدون مشروم فأنا لا أحب المشروم، وهنا لم أستطع أن أتحكم في فضولي وسألته:

- كيف عرفت يا عمر أني لا أحب المشروم؟

فرد عليَّ بتلعثم قائلًا:

- لقد طلبته كما آكله بدون مشروم.

نظرت لطبق عمر فوجدت به مشروم، فعاودت النظر إليه نظرة عرف منها أنه يكذب عليَّ فنظر في طبقه وتظاهر بالأكل فعاودت

الأكل.

كان يأكل ويفتح رغيف العيش في آن واحد يزيل منه عجينته الزائدة ويضعه أمامي كما كان يفعل والدي معي وكنت آخذه وآكله دون أن أعقب، انتهيت من الطعام وعاودت وضع رأسي من نفسي على كتف عمر بجواري فابتسم ولم يتحرك.

وصلنا القاهرة وحين نزلنا كان أبي في إنتظارنا هو وأمي، فركبنا سيارتنا وذهبنا لمنزلنا الجديد بالمعادي وكان جدي قد سبق وجهزه كاملًا وحين دخلنا إلى شقتنا كانت جميلة جدًّا.

كان الحائط مرصعًا بصوري في جميع مراحل عمري، حتى لون دهان الشقة كان اللون الذي أحب وذوق الأثاث كان أيضًا مشابها لذوقي وهنا تساءلت:

– كيف يا عمر عرف جدي كل هذا ورتب الشقة بهذا الشكل؟

رد علي عمر قائلًا:

– لقد ساعدته حين سألني عن بعض الأشياء.

موت عمر

مرَّ هذا اليوم سريعًا وأقبلت الشمس تُعلن عن بزوغ فجر رحيل عمر لكتيبته الذي وُزع عليها في سيناء، كان مشهد الوداع غريبًا جدًّا، فقد كان مزيجًا بين حزن وخوف وحرج.

وقعت عيني على عمر وهو خارج من الغرفة مرتديًا ملابس الجيش التي كانت تلائمه بشكل واضح فتتبعته بعيني حتى دنا مني وقال:

- لقد حان موعد ذهابي يا سماء، لا تقلقي فقد تحدثت إلى عمي وهم في طريقهم إلى هنا فلن تجلسي وحدك.

إن أردتِ الجلوس لدى أمك فلا مانع فلتفعلي ما تريدين.

لم أجب على كل هذا سوى بإيماء رأسي بالموافقة وأنا أنظر إليه أُجاهد عينِي ألا تسقط منها دمعة واحدة حتى وأحارب نفسي ألا أحتضنه فأُسقط نفسي بين ضلوعي أختبأ من شبح ذهابه بعيدًا عني، فقد ألفته نفسي في خلال اليومين الماضيين اللذين قضيناهما معًا ولكن ها هو ذا يذهب بعيدًا.

شعرت بتوتر عمر وكأنه يقدم قدمًا نحوي ويعود بالأخرى بعيدًا، وكأنما ما زال يتذكر كلامي السخيف السابق.

خرج عمر من الباب ملقيًا السلام عليَّ ورحل، وهنا انفرط عقد دموعي فلم أعد أقوى أن أسيطر عليه فقفت أمام المرآة قائلة:

- ما بكِ يا سماء لِمَ تبكين؟ أأحببته؟!

أنتِ لم تعرفيه سوى منذ أيام كيف إنجذبتي إليه هكذا؟!

لم يمر سوى بضع ساعات حتى دق جرس الباب ووجدت أبي وأمي على الباب.

مرت الأيام الواحد تلو الآخر كل يشبه بعضه ما أستيقظ فيه أنام فيه لا أعرف أي خبر عن عمر طوال شهر ونصف، أسأل أبي كل يوم كيف يمكننا أن نطمئن على عمر ويجاوبني بنفس الإجابة كل يوم أنه سيحدثنا وقتما يعرف فهو ما زال في مركز التدريب.

كان يومًا عاديًا كغيره من الأيام، استيقظت على صوت الهاتف يرن ولم تكن الساعة قد جاوزت السادسة بعد، أسرعت أجيب على الهاتف وسبقني قلبي إليه متمنيًّا أن يكون عمر فاطمئن عليه.

رفعت سماعة الهاتف بلهفة فوجدته هو عمر فتساقطت الدموع من عيني وهو يقول:

- السلام عليكم.

كيف حالك يا سماء؟ اشتقت إليكِ؟

سمع عمر صوت بكائي فقال لي بصوت ممزوج بقلق:

- ما بكِ يا سماء أأنتِ بخير؟

رددت عليه وأنا أمسح دموعي وأحاول أن أتمالك نفسي:

- أنا بخير يا عمر لا تقلق، فقد صدمت قدمي في الباب وأنا أُسرع للرد على الهاتف.

نحن بخير كيف حالك أنت يا عمر؟

- الحمد لله يا سماء أنهيت مركز التدريب ولكني سأذهب في مهمة سريعة قبل أن أعود للبيت، فلقد تحدثت حتى أسمع صوتك قبل أن أذهب وأطمأن عليكِ.

- لا تقلق يا عمر فنحن بخير، فلتذهب ولتعد سالمًا.

أغلقت الخط وانقبض قلبي فلم أعرف لِمَ قلقت عليه هكذا؟! ولِمَ لم أقل له أنني اشتقت إليه أيضًا؟!

لا تُكابري يا سماء فقد أحببتي عمر، أحببتي إهتمامه بك وخوفه على حزنكِ وعليكِ، أحببت طيبته وشهامته ورجولته وفوق كل

هذا أحببتي حبه لكِ الذي كان ظاهرًا في كل شيء.

فلتخبريه يا سماء فور عودته أنكِ تحبينه فلا تُكابري.

مرَّت ثلاثة أيام ودق جرس الباب فأسرعت لأفتح وقد تزينت ككل يوم بعد حديثنا في الهاتف وإخباره لي أن مهمته ستنتهي في خلال ثلاثة أيام على أقصى تقدير.

فتحت الباب لأجد ضابطًا من الجيش المصري واقفًا أمام الباب فأسرعت أنادي أبي الذي أقبل وإذا به يخبرني وأبي:

- تلك متعلقات عمر فقد أوصى بها إليكِ ولتحتسبوه شهيدًا.

هنا وقعت على الأرض وتمنيت أن يكون حلمًا أستفق منه سريعًا وجلست أكرر:

- هيا قومي، استيقظي فلا يمكن لعمر أن يموت قبل أن أعترف له.

ولكنه لم يكن حلمًا، كانت الحقيقة الوحيدة بالأمر، ففي نهاية الأمر أصبح الكابوس الوحيد بحياتي هو حياتي ذاتها.

لا زلت لم أعرف بعد أي تلك الحيوات هي حياتي وأي حلم أفقت منه، أين الحقيقة؟ أأنا سماء أم دعاء أم أنا شخص ثالث

أصلًا؟ لا أعلم ولكن الحقيقة الثابتة المشتركة في كل هذا هو وجود عمر الذي لم أعرف قدره سوى بعد رحيله.

يا لغرابة هذا الحب الذي يكمن جماله في صعوبته ومِحَنه، الحب لا يَنسى ولا يُنسى، الحب يُحس وما إن يُولد لا يموت، فما إن يقذف في القلب لا تستطيع إخراجه وإن حاولت.

هكذا الحياة كموج البحر تُقبل فنُدبر ونُدبر فتُقبل ولا نلتقي وتروق لنا سوى لحظات، وفور علمنا أننا التقينا نرى الفراق يلوح من بعيد معلنًا عن النهاية للوقت والحدث.

حين التقينا.. انتهينا.

خاتمة

الحب وصال بين قلبين وإن باعدت بينهما الحياة، سواء كان عمر أم علي فقد أحبته سماء، ولكن بعد فوات الأوان، أحبت شخصه ليس اسمه، وكذا هو أحبها سواء كانت سماء أو دعاء.

لا تخف من الحب واترك العنان لقلبك كي يجد ضالته، وتأكد أنه ما كان للحب أن يكون سهلًا، فكل لحظة جميلة تتمنى أن تعيشها في الحب ستعيش في مقابلها لحظات ضعف وضيق وحزن ولكن..

يبقى الحب ولا يزول.